وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر – بسكرة –
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

دلالة الصحراء
في رواية "صحراء الظمأ "
للخضر بن السايح

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية
تخصص: أدب حديث و معاصر

إعداد الطالبة:
زينب بضياف

إشراف الدكتورة:
سامية آجقو

السنة الجامعية:
1435-1436هـ
2014-2015م

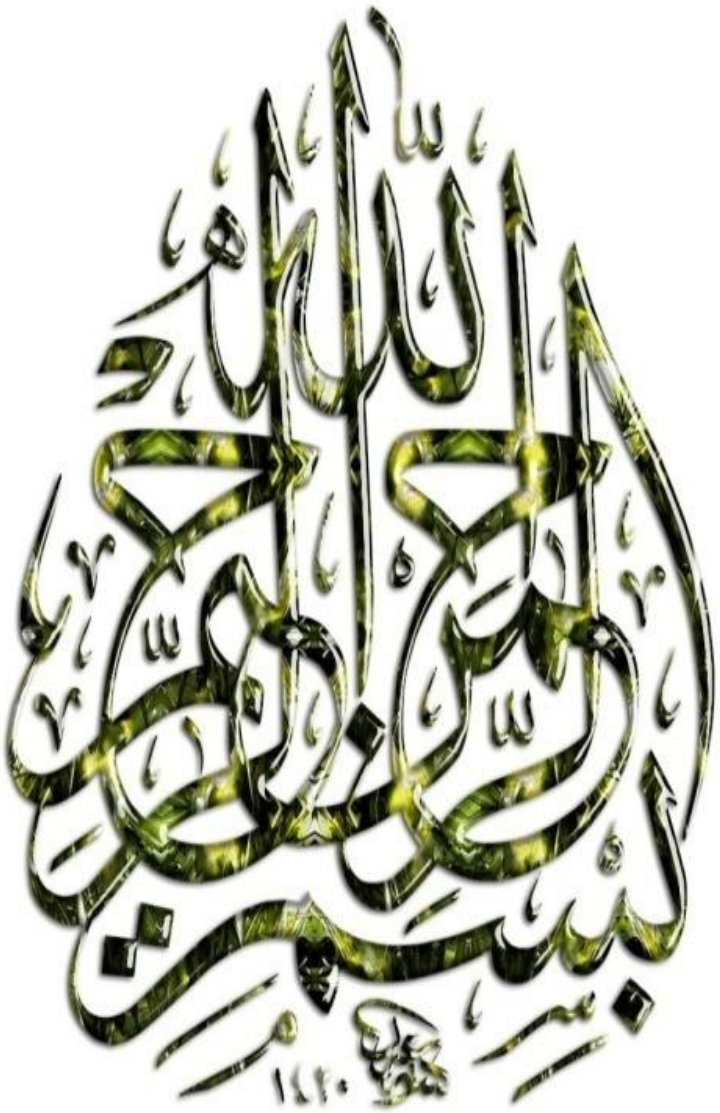
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي

بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

سورة النّمل الآية 19

صدق الله العظيم

شـكـر وعرفـان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا في إنجاز هذا العمل

ومن هذا المنبر العلمي أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد على إنجاز هذا البحث وفي تذليل ما واجهني من صعوبات ونخص بالذكر الأستاذة المحترمة

"سامية آجقو"

التي لم تبخل عليّ بتوجيهاتها ونصائحها القيمة التي كانت عونا لي في إتمام هذه الدراسة

وللوالدين فهما الصدر الرحب الذي لا يمل ولا يكلّ فلهما مني جزيل الشكر وفائق التقدير والاحترام

دون أن ننسى أساتذة قسم الأدب العربي الذين رسموا لنا الطريق إلى عالم البحث

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى طلبة السنة ثانية ماستر وكل زميلاتي وزملائي

وأرجو من الله التوفيق والسّداد .

مقدمة

تعتبر الرواية جنسا أدبيا قائما بذاته له أسسه النقدية وأنماطه النوعية، ومن المعروف أن هذا الفن الأدبي لم يمض على ظهوره أكثر من قرن ونصف قرن في العالم العربي بيد أن هذا الجنس قادر على الهضم والتمثل والإفادة من فنون أخرى .

أصبحت الرواية في منتصف القرن العشرين أوسع أزياء التعبير الأولية انتشاراً بينما كانت في الماضي وسيلة للتسلية وإشباعا سهلا للمخيلة أو للعاطفة ، أضحت تعبر اليوم عن القلق والسرائر والمسؤوليات التي كانت فيما مضى موضوع الملحمة والتاريخ والبحث الأخلاق والتصوف والشعر في جانب منه.

يلعب المكان في العمل الروائي دورا مهما ، فهو ليس مجرد ترف يكثر به الكاتب سواد الصفحات ، بل هو ركن أساسي من أركان العمل الروائي الحديث ، والمكان في كل أبعاده الواقعية والمتخيلة يرتبط ارتباطا وثيقا بالجانب الزمني والتاريخي للنص وشخوصه فهو يحتل أهم موقع في العمل الروائي ، وبالتالي استحالة كتابة رواية من دون مكان روائي.

وقد جاءت هذه الدراسة للحديث عن المكان الصّحراوي ولكن في ظل الرواية الجزائرية ، حيث تطرقنا في هذا النموذج لإحدى روايات الأخضر بن السايح ألا وهي "صحراء الظمأ " .

وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع لعدة أسباب ، سأكتفي بذكر أهمها :

- أنّ الموضوع خصب وقليل التناول.

- لأهمية الصّحراء كفضاء دلالي له خصوصية تنعكس على باقي مكونات العمل السردي .

- لأنّ الرواية لم تستهلك بعد.

– نظرا لالتصاق الموضوع بالرواية والشغف لمعرفة ما يدور في المكان الصّحراوي .

إنّ معالجة هذه القضية تدفعنا إلى صياغة الإشكال الآتي :

-ما هو المكان الصّحراوي ؟ وكيف تجلت دلالته في الرواية؟

-هل اقتصرت دلالة المكان الصّحراوي في رواية " صحراء الظمأ " على دلالة واحدة أم تنوعت إلى عدة دلالات ؟

-إلى أي حد يمكن اعتبار الصحراء قيمة جمالية؟

-هل يمكن اعتبار الصّحراء موطنا من مواطن الإبداع في رواية " صحراء الظمأ "

ولإجابة عن هذه التساؤلات كان المنهج المهيمن على الدراسة هو المنهج التحليلي والوصفي ، فهو الأنسب لمثل هذه الدراسة.

وانطلاقا من هذا ارتأيت أن أكشف عن طريقة الكاتب في توظيفه لدلالة الصّحراء حيث سرت وفق خطة عمل رست عليها أفكاري بعد التردد بين أكثر من خطة ، أين قمت بتقسيم هذا البحث إلى فصلين تتصدرهما مقدمة ومدخل نظري ويتذيل بخاتمة مردفة بملحق .

أمّا المدخل فقد كان بمثابة خطوة تمهيديّة موسوما بـ : الصّحراء بين الماهية والممارسة الإبداعية ، تناولت فيه مفهوم الصحراء (لغة واصطلاحا) ، ثم قدمت خصائص الصّحراء ، كما تعرضت إلى خصائص سكان الصّحراء ، ثم تطرقت إلى الخصائص النباتية والحيوانية للصحراء ، وفي الأخير تناولت حضور الصّحراء في الرواية العربية.

ليليه الفصل الأول الذي سطرته تحت عنوان : صورة الصّحراء ، أدرجت فيه مميزات الصحراء من مدن صّحراوية ورمال وسراب ، ثم انتقلت إلى الرحلة في الصّحراء كما تطرقت إلى أهم مكونات عالم الصّحراء ، والتي اشتملت على : (عالم الإنسان – عالم النبات – عالم الحيوان) ، وتناولت أيضا الدلالات العامة للصّحراء .

جاء بعدها الفصل الثاني موسوما بـ : ماهية المكان الصّحراوي ودلالاته استهللته بتعريف المكان ، ثم تعمقت في الأبعاد الدلالية للمكان الصّحراوي .

و ختم البحث بخاتمة هي عصارة ما توصل إليه البحث من نتائج .

وقد اتكأ البحث على جملة من المصادر والمراجع شكّلت هيكله ولحمته نذكر من ذلك:

-الرواية العربية والصحراء " لصلاح صالح ".

-الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عبر العصور "قراءة انثروبولوجية " لسعد العبد الله الصويان".

-" البدو أمراء الصحراء " لعطيات أبو العينين.

-"البنية والدلالة في روايات " إبراهيم نصر الله " لمرشد أحمد .

-" بنية الشكل الروائي" لحسن بحراوي.

وقد واجهت هذا البحث بعض الصعوبات اتصل بعضها بقلة الدراسات التي تناولت المكان الصحراوي ، إضافة إلى ضيق الوقت المتاح للبحث ، إلا أن هذا لم يمنعنا من دراسة الرواية.

وفي الختام أتقدم بالشكر وعظيم الامتنان ، وأوفر التقدير إلى منبر العلم والأخلاق والاحترام لأستاذتي الفاضلة" سامية آجقو" التي أفادتنا كثيرا بتوجيهاتها ونصائحها فجزاها الله خيراً.

أخيرا ، لا يسعنا إلا أن نقول : إذا كان الصواب حليفنا ، فذلك قصدنا وإن كان الخطأ قد رافقنا فسبحان الذي له العصمة وحده ، فالله نسأل أن يسدد خطانا ويهدينا سواء السبيل.

مدخل نظري

مدخل نظري :

الصّحراء بين الماهية والممارسة الإبداعية

أولا: مفهوم الصّحراء

أ – لغة

ب –اصطلاحا

ثانيا :خصائص الصّحراء

أ –خصائص سكان الصّحراء

1 - مفهوم البدو لغة واصطلاحا

2- عادات البدو وتقاليدهم

ب – الخصائص النباتية للصّحراء

ج – الخصائص الحيوانية للصّحراء

ثالثا: حضور الصّحراء في الرواية العربية

اهتمت بعض الروايات الجزائرية على قلتها بالصّحراء – وهي ظاهرة جديرة بالاهتمام - فالصّحراء ليست رمالا قاحلة وفضاء فسيحا مقفرا خالي ا من الحياة، بل هي موطن من مواطن السحر والجمال. ولهذا نجد الصّحراء قد فرضت نفسها وبقوة كبيرة على النص الروائي الجزائري .

أولا: مفهوم الصّحراء

أ- لـغة:

« لقد عرّف ابن منظور في لسان العرب الصَّحراء بأنَّها : المستوية في لين وغِلَظٍ دون القُفِّ، وقيل : أنها الفضاء الواسع، وقال ابن شميل : الصَّحراءُ من الأرضِ، مثل ظَهْر الدَّابةِ الأجْرَدِ ليس بها شَجَرٌ ولا إكامٌ ولا جبَالٌ ملساءُ. و أصْحَرَ المكان أي اتَّسَعَ وأصْحَرَ الرَّجُلُ إذا [اعْوَرَّ] كأنَّه افصَى إلى الصَّحْراءِ التي لا خَمَرَ بها فانكشف. وأصْحَرَ القومُ إذا بَرزوا إلى فَضَاءٍ لا يواريهم شيءٌ. وجمع الصحراء فيما قاله الجوهري، صَّحَار ى وصَّحْراوات»[1].

أما الزُّبيدي في تاج العروس فقد عرفها بأنّها: اسم سَبْع مَحَالّ بالكوفَةِ ومَحَلّ خارج القاهرة وقال الجوهَرِيّ:الصَّحْراءُ البَرِّيَّةُ، غير مصروفة و إن لم يكن صِفةً، وإنما لم يُصرَف للتّأنيثِ، وللزوم حَرْفِ التأنيث له، قال : وكذلك القول في بشْرَى ، تقُولُ: صَحْراءُ واسِعَةٌ ولا تقُل صَحْرَاءَةٌ واسعة، فتدخل تأنيثا على تأنيث[2].

وفي كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر في مادة (صَحَرَ) وفيه «كُفِّنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين صُحَارِيَّيْنِ» صُحَار: قريةٌ باليمين نُسِبَ الثوب إليها.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مج1، دار المعارف، القاهرة ، مصر، (د.ط) ، (د.ت)، ص 2403.

[2] مرتضى الزُّبيدي: تاج العروس (دراسة وتحقيق علي بشري) ، مج 7، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1994 ص 77.

وقيل هو من الصُّحْرَة، وَهِي حُمرة خفيَّة كالغبرة، يُقال ثوبٌ أَصْحَرُ وَصُحارِيٌّ. وفي حديث عَلِيٍّ رضيَ اللهُ عنه« فأَصْحَر الرَجُل إذا خرج إلى الصَّحْرَاء »[1].

وورد في المعجم الوسيط (صَحِرَ) – صَحْراً، وصُحْرَةً: أشرِبَ لونه حمرة خفيفة فهو أصحرُ، وهي صحراء، والصَّحراءُ : أرض فضاء واسعة فقيرة الماء[2].

وبناء على ما سبق يتحدد معنى الصّحراء لغة فما هو معناها اصطلاحا يا ترى؟

ب- اصطلاحا:

هي منطقة جغرافية تخلو أو يندر بها النبات، فالصّحراء تعريف نباتي لا مناخي ويقلّ فيها تساقط الأمطار، ولذلك تقلّ فيها الحياة[3].

والأهم في مفهوم الصّحراء هو الحالة المناخية التي تطبع التضاريس الأرضية بطابعها الخاص. والمناخ «لا يتألف فقط من الأمطار ودرجات الحرارة، بل يضاف إلى ذلك الرياح والإشعاعات وعناصر أخرى ». فمفهوم الصّحراء يقترن دائما بوضع مناخي معين يتميز بقلة أو ندرة الرطوبة أو المياه مع ارتفاع للحرارات وفروقها اليومية والفصلية وتطرف في مقادير التبخر والنتح . فالتطرف في العناصر المناخية والمائية، وما يرافق ذلك من انعدام شبه تام أيضا للحياة[4].

---

[1] نقلاعن، الطيب لسلوس: مداخلات المنجز السردي للسعيد بوطاجين، الملتقى الوطني الثالث للكتابة السردية تحت شعار "السرد والصحراء"، دار الثقافة لولاية أدرار، 2014، ص 111.

[2] ابراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا، ج1، (د.ط)، (د.ت)، ص 508.

[3] Sahaary.blogspot.com/2014/10/desertwikipedia.html

Le 14/10/2014 a 09:30h

[4] صلاح صالح: الرواية العربيّة والصحراء، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية ، ط1،1996، ص16.

ومن هذه الخلفيات المرجعية المختلفة نستخلص أنّ الصّحراء تتميز بقلة الأمطار والحرارة المرتفعة؛ فالحياة فيها صعبة للغاية، لأنّها في مختلف عهودها أرض الجفاف والحرمان.

ثانيا: خصائص الصّحراء

إن ضجيج المدن وحياتها الصاخبة تدفع الإنسان للهرب منها بحثا عن حياة أكثر هدوءًا وسكونا. فللصَّحراء هدوؤها ولتلك الرمال المنبسطة سكونها ولهذه الجبال الشامخة عظمتها، ولصخورها وتعدد ألوانها العجيبة الزاهية من حمراء قانية إلى صفراء أرجوانية وسمراء داكنة وسماء زرقاء صافية، ومن لمعة نجومها وضيائها ولياليها الساحرة، ثم من جفاف هوائها وطلاقته واتساع أراضيها وفراغها وسكينتها وهدوئها كل هذه العوامل تجعل الإنسان يشعر بارتياح لا يشعر بهما في حياة المدن[1]. وهذه الأريحية جرّت معها أسبابها وخصائصها.

أ- خصائص سكان الصّحراء :

1- مفهوم البدو لغة واصطلاحا:

بدا بَدْوًا وبُدُوّاً وبَدَاءً وبَدَاءةً وبُدُوّاً ظهر، وابديتُه وبَدَاوَةُ الشئ : أوَّلُ مايبدو منه [2].
بَدَاة : بدًا وبدوات : 1- كمأة، 2- رأي شخصيّ، 3- بادية، الصحراء، 4- تراب [3].
ابتدى: ذهب إلى البادية، تبادى :تشبه بأهل البادية، وتبدى : ظهر وأقام بالبادية ، والبادي المقيم في البادية، والبادية هي الفضاء الواسع فيه المرعى والماء، والبداو ة: الحياة في البادية، ويغلب عليها التنقل والترحال، والبدو: البادية وأهل البادية[4].

وتعرّف "الموسوعة العربية العالمية" "البدو": أنّهم مجموعة من البشر يعيشون حياة الترحال، وعدم الاستقرار في مكان بعينه، ويعيشون حياتهم التقليدية في الصّحراء بحثا عن الماء والمرعى لجمالهم وأغنامهم، ويعيشون في خيام مصنوعة من جلود وشعر

---

[1] عطيات أبو العينين، صلاح معاطي: البدو أمراء الصحراء، مؤسسة الوراق، عمان، الأردن، ط1 ، 2014،ص 07.

[2] الإمام مجد الدين: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج4، ط1، 1999، ص 393.

[3] جبران مسعود: الرائد معجم ألفبائي في اللغة والإعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 193.

[4] إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص 44-45.

حيواناتهم، ويعتمدون في غذائهم في الغالب على منتجات الألبان والتمور والأرز ويقايضون اللحوم ومنتجات الألبان مع سكان القرى المجاورة للحصول على الخناجر والأواني والبضائع المصنعة الأخرى. والبدو شديدو الاعتزاز بكرامتهم ويعتمدون على أنفسهم إلى درجة بالغة[1].

تأسيسا على ما سبق نجد أنّ سكان الصّحراء بدو، والبدو هم مجموعات بشرية موطنها التقليدي الصّحراء، إذ يحيون في ترحال وتنقل دائم، فهم لا يستقرون في مكان محدد نظرا لعدم توفر المياه أو قلتها .

2) عادات البدو وتقاليدهم:

للبدو عادات وتقاليد كثيرة، أكثر من أن تحصى، انتقل بعضها بالتسلسل من الآباء إلى الأحفاد، وحوفظ عليها كما لو كانت سرعة لا يصح الإخلال بها، وبعضها نشأ بحكم الضرورة القاهرة، من شظف العيش وضيقه، وقساوة البادية، ومرارة العيش فيها. وتمارس تلك الأعراف والتقاليد ضغطا اجتماعيا على جميع الأفراد، فلا يستطيع أحد التحرر منها، وإلا فإنّه يعرض نفسه للاستخفاف وللعقاب أحيانا. وهذا النمط المحافظ الثابت أدى إلى استمرار عادات وقيم وبقائها على ما هي عليه منذ ما قبل الإسلام حتى اليوم[2]. ومن أهم عادتهم وتقاليدهم نذكر ما يأتي :

2-1 كرم الضيافة

كرم الضيافة من عادات البدو الفاضلة ؛ فالضيافة عندهم أمر عظيم لايفوقها أي أمر آخر، وإكرام الضيف هي الصفة الملازمة لأهل البادية، وهي احدى أركان عاداتهم

---

[1] عطيات أبو العينيين، صلاح معاطي: البدو أمراء الصحراء، ص 15.

[2] المرجع نفسه، ص 14.

وتقاليدهم التي توارثوها . فللضيف مكانة عظيمة في نفس البد و، ولا شك أن كرم الضيافة طبع أصيل تميز به العرب عن غيرهم من باقي الأمم[1] .

وبناء على ما تقدم ، فإن الكرم صفة من صفات البدوي الطيبة، وهي من أبرز صفات المجتمع العربي. فإكرام الضيف من مكارم الأخلاق، وسجي ة من سجاياه الكريمة التي مازال يتمسك بها، فهو كثير الرماد كناية عن الكرم في أي عصر كان.

2-2 الشجاعة :

يحترم البدو الرجل الشجاع ليس لشجاعته فقط ، وإنّما لأن الشجاعة تمكنه من الكسب، يقول "جلوب باشا"الذي عايش البدو وعرف طباعهم "الشخصية المتهورة للفارس الشجاع تصاحبها عادة سمة البذل اللامحدود". ويقول "ألاويس موزيل" :" يحن البدوي للغزو ليل نهار لا لأجل الغنيمة، وإنّما لما في عملية الكسب ذاتها من الإثارة، وكلما كان الخطر أعظم كلما كانت المغامرة أكثر جاذبية. وحالما تقع الغنيمة في يديه ويضمن الحصول عليها يهبها ليبدأ التخطيط لمغامرة أخرى[2] .

ومن هنا، فإنّ الكرم من الأخلاق القديمة التي عرفـتها أصحاب النفوس العظيمة وهي صفة يعتّز بها البدوي وورثها عن آبائه وأجداده. أما الشجاعة فهي ضرورية لتحقيق قيمة الكرم، وبالتالي فالشجاعة المردفة بالكرم من أبرز صفات العربي .

---

[1] عطيات أبو العينين،صلاح معاطي : البدو أمراء الصحراء ، ص 213.

[2] سعد العبد الله الصويان: الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عبر العصور قراءة انثربولوجية، الشبكة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2010، ص621.

2-3 التهلي والترحيب (الضيافة) :

يكمن في تقديم الفراش والطعام والراحة للضيف و إكرامه إكراما تاما ، فالضيف متى ما قدم على صاحب البيت يُستقبل بالحفاوة والترحيب ، وفي ذلك قالت "البدو" في الضيف "إذا أقبل أمير وإذا جلس أسير وإذا قام شاعر". ومعنى ذلك أنه يجب على المضيف أن يستقبل ضيفه بالترحيب الحار على قدومه وهو يتساوى في ذلك بمنزله الأمراء. وإذا جلس أسير لمعازيبه أصحاب البيت لا يستطيع أن يعمل أي شيء إلا بإذنهم فلا يخرج إلا عند سماحهم له ، ولا يستطيع أن يمنعهم في تأديتهم الواجب له من كرم الضيافة. وإذا قام شاعر أي عند ذهابه سيذكر أصحاب البيت بما قدموا له من اكرام وتقدير أو العكس[1].

ونخلص إلى أنّ البدو يحسنون استقبال الضيف والترحيب به، وتقديم كل وسائل الراحة له، وبالتالي يبقى ممنونا لهم لطيبة أخلاقهم وسمو سلوكهم.

2-4 الزواج المبكر:

يفضل البدو الزواج المبكر، وعادة ما يتم الزواج من الأقارب و أقرب قريبات الرجل التي يحل له الزواج منها، هي ابنة عمه أو إحدى فتيات القبيلة، وإذا رغب في غير ذلك فيتخير فتاته من الأنساب الكبيرة[2].

يعد الزواج من أرقى العلاقات الاجتماعية في مجتمعاتنا، فبواسطته يتم خلق مجتمع متماسك، لا تزحزحه الشوائب مهما كانت، والمجتمع الصّحراوي عامة يحرص كل الحرص على استمرارية وبقاء هذه العلاقة الاجتماعية والحفاظ عليها.

---

[1] عطيات أبو العينيين، صلاح معاطي: البدو أمراء الصحراء، ص 214.

[2] المرجع نفسه، ص 193.

ب- الخصائص النباتية للصّحراء:

تعد نخلة التمر أعظم شجرة منتجة للغذاء في المناطق الصّحراوية حيث تسمى ثمارها (فاكهة الصّحراء) ، وهي تنتشر في الواحات العربية وتمثل العامل الأساسي في التأقلم مع الظروف المناسبة لتوطين السكان واستدامة حياتهم[1].

وللنخلة أثر كبير في حياة العرب، فهي مصدر رئيس من مصادر غذائهم وعيشهم فتمرها غذاء لهم، ورضيخها غذاء لحيواناتهم، فهي ذات أثر كبير في معاشهم وحياتهم الاقتصادية. وبعد أن مرّوا بمرحلة الصيد والرعي، جاءت مرحلة الزراعة والاستقرار مما دفعهم إلى العناية بزراعة (النخيل) وزراعة غيره من الشجر والنبات والاستفادة من نتاجه[2].

وعلى هذه الأرضية نرى أنّ النباتات الصّحراوية في معظمها نباتات شوكيه صغيرة الأوراق، وذلك بسبب الحرارة وجفاف الأرض. غير أنّ نخلة التمر عرفها العرب منذ القدم وورد ذكرها في أشعارهم وكتبهم فهي شجرة مباركة (سيدة الشجر) ، ارتبطت بالسيدة العذراء في القرآن الكريم.

ج- الخصائص الحيوانية للصّحراء:

تشتمل الحيوانات الصّحراوية على عدد كبير من الحشرات والعناكب والزواحف والطيور والثد يياِت، ولكن أهم حيوان عرفت به الصّحراء حتى إنّه لقب بها (سفينة الصّحراء) ألا وهو الجمل، الذي يستطيع مقاومة العطش لعدة شهور.

---

(1) **www.iraqi-datepalms.net**

Le 27/11/2014 a 19 :40

(2) أحمد موسى النوتي:الصحراء في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009، ص207-208.

والحق أنّ قدرة الإبل على تحمل شدائد الصّحراء لا ترجع إلى طاقتها على اختزان الماء فحسب بل إلى قدرتها على الاحتفاظ به أيضا. ويستطيع الجمل أن يتحمل ارتفاعا في درجة الحرارة فوق المعدل العادي لدرجة حرارة الجسم، دون أن يفقد الكثير من الماء بالعرق .كما أنّ الإبل تختزن الطاقة شحما في أسنامها[1].

واعترافا من البدو بأهمية الإبل في حياتهم يسمونها "النعم"، وهي كلمة مشتقة من النعمة التي ينعم بها الله على البشر، ويسميها العرب المتأخرون عطايا الله . وتدور جل أحاديثهم ومسامراتهم حول الإبل وشؤونها وعلاقتهم بها[2].

وقد ورد لفظ الإبل في القرآن الكريم في عدة مواضع وبألفاظ مختلفة هي :

1) لفظ الإبل في قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧﴾[4].

2) الناقة: هي أنثى الجمل. كما وردت في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤﴾[5].

---

[1] عطيات أبو العينيين، صلاح معاطي: البدو أمراء الصحراء، ص 19.

[2] سعد العبد الله الصويان: الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عبر العصور قراءة انثربولوجية ، ص335.

[3] سورة الأنعام، [الآية 144].

[4] سورة الغاشية، [الآية 17].

[5] سورة هود، [الآية 64].

إذن فالجمل حيوان أليف محبوب وصبور، لأنّه يمتاز بخصائص متميزة، فهو يكتفي بالماء القليل، ويعتبر من أكثر الحيوانات مقدرة على المشي لمسافات طويلة كما يمثل أيضا مصدرًا للرزق وموردا للثروة .

ثالثا : حضور الصّحراء في الرواية العربية

لم تعرف بواكير التأليف الثقافي العربي أعمالا روائية أو شبه روائية جرت أحداثها في الصحراء، ورغم هذا فقد تسللت الصحراء إلى تلك الأعمال بأشكال مختلفة كان أبرزها استعارتها لتصوير بعض النزعات المصطبغة ببعض ما ترسب في نفوس الكتاب العرب، من ولع خاص، سكبته الرومانسية الغربية على الطبيعة[1].

ويجب أن نعترف بأن مسمَّى «روايات الصحراء» فضفاض وغير محدد، فصلاح صالح يرى بأن المكان الصّحراوي كان «نوعًا من الضالة المنشودة عثرت فيه الرواية العربية على بعض ما تصبو إليه من امتلاك خصوصية الهوية، إذ كان العثور على أمكنة عربية خالصة من أيسر السبل وأكثرها ارتدادًا لإنشاء رواية عربية تسعى إلى قطع وشائجها المتبقية مع الرواية الغربية التي تم احتذاؤها في بدايات التأليف الروائي العربي شكلا ومحتوى»[2]، فالصّحراء فضاء واسع ممتد أصبغ على الرواية العربية هويّة مكانية خاصة ارتبطت ببدايات الإبداع .

ومن الدوافع التي أدت لتوجه الرواية العربية المعاصرة إلى الصّحراء، يمكن ذكر أبرزها في النقاط الآتية :

1- تضم الصّحراء العربية كمية هائلة من التاريخ العربي، على مستويات كافة .. «السياسي، والديني، والثقافي». وربما كانت اللغة العربية أهم ما أنتجته الصحراء[3].

---

[1] صلاح صالح : الرواية العربيّة والصحراء، ص29.

[2] ميرال الطحاوي: محّرمات قبليّة (المقدس وتخيّلاته في المجتمع الرعوي روائيا)،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ط1، 2008، ص28.

[3] صلاح صالح : الرواية العربيّة والصحراء، ص33.

وفي الجانب الديني، احتضنت الصّحراء ولادة الدين الإسلامي فكانت منطلقا ومزارًا يؤولون إليه سكان الصّحراء (المسلمون) سنويا لأداء فريضة الحج، وزيارة الكعبة .

وفي الجانب الثقافي، ارتبط بزوغ الثقافة العربية بالصحراء ارتباطا شاملا على جميع المستويات، كالشعر الجاهلي والأمثال والخطب الجاهلية والأساطير العربية القديمة وأشكال القص الأولى.

وفي الجانب التاريخي كانت الصّحراء مسرحا هائلا لعدد كبير من الوقائع التاريخية الكبرى التي تشكل المحور الرئيسي لتاريخ الإنسان ووجوده على مختلف الحقب التاريخية[1]. وتبقى الصّحراء موقعا اقتصاديا وفنيا من حيث "تحول الصحراء إل ى واحد من أهم المراكز الاقتصادية على وجه الكرة الأرضية "[2]. ومعنى ذلك أنّ الصّحراء تمتلك ثروات كبيرة، خاصة النفط الذي يعد ذهبها الأسود.

2- الوجود الخاص للصحراء في الفن والأدب «إن ظلت الصحراء طيلة هذه القرون الماضية تثير خيال الشعراء والأدباء والفنانين وتستهوي أفئدة كثير من الرحالة والمغامرين والباحثين، كما كانت مسرحا للبطولة والفروسية التي سجلتها السير الشعبية والملاحم»[3].

فالصّحراء مكان حميم رحب ، ومجال واسع وممتد من الرمال والقيظ والسراب، إذ استطاع الإنسان الصّحراوي التعايش معها رغم طبيعتها القاسية، فجفاف المناخ وكثرة الصّحاري، وقلة المياه، كلها عوامل أثرت فيه، ولكن على الرغم من سلبيتها وجفائها- إلا أنّ هذا الإنسان استطاع التعايش معها والتأقلم فيها_ فأصبح يغني لها ويبدع فيها فصارت هي مصدر إلهامه ومنبع كل إبداعاته.

---

[1] صلاح صالح: الرواية العربيّة والصحراء، ص34.

[2] المرجع نفسه، ص 35.

[3] المرجع نفسه، ن ص.

3- الوجود السحري والأسطوري الذي تتمتع به الصّحراء [1]، كالسراب والكثبان الرملية وأشجار النخيل، فكل هذا يخلق إلهاما للشعراء.

4- انتقال أعداد كبيرة من الروايات العربية إلى تسيير أحداثها، أو قدر من هذه الأحداث في الصّحراء العربية، وقد امتازت غالبية هذه الروايات بأمرين :

الأول: السوية الفنية العالية؛ والتي لم تستطع تحقيق هذه السوية تجاوزت مرحلة التمرين.

والثاني: قدرة هذه الروايات على البدء بتشكيل نواة حقيقية لما تطمح إليه الرواية العربية من انفرادها بشخصيتها المستقلة، وتمايزها عن الأنماط الروائية الأخرى[2].

إذن هذه هي أهم الأسباب التي أدت إلى توجه الرواية العربية إلى الصّحراء وزحفها إلى عالمها السردي.

[1] صلاح صالح: الرواية العربيّة والصحراء ، ص39.

[2] المرجع نفسه ، ص40-41.

الفصل الأول

أولا :مميزات الصّحراء:

الصّحراء ذلك السحر الأسطوري الكامن في المخيال الجمعي للإنسانية عامة وفي الذاكرة العربية بشكل خاص، حيث تبرز الصحراء في الوعي، والمخيّلة مجمعا للنقائض، منسجمة مع طبيعتها المتقلبة، فهي لا تسكن حينا حتّى تثور، ولا ترضى لحظة حتى تغضب، تفرح فيتحول الكون إلى مسرح شعريّ رائع، وتغضب فيكون في غضبها الهلاك والشقاء[1]. وفي هذه المساحة يقول الشاعر أحمد عبد الكريم: « كتابة الصحراء،لا تعني الوصف الخارجي لجغرافيا الصحراء بطريقة وثائقية، وإنما تعنى نقل روح الصّحراء من خلال تفاعل الإنسان مع المكان والتعبير عنها بشكل عميق بعيدا عن النظرة الايكزوتيكية".(الغرائبية)[2].

استطاع "الأخضر بن السايح" بإبداعه الفني التحكم في أمكنة الرواية وجعلها تتماشي وسيرورة الأحداث، ولذلك نجد تعدد المدن الصحراوية في نصه الروائي الموسوم بـ "صحراء الظمأ" وتكمن جمالياتها من خلال حسن توظيف الروائي لها.

أ) المدن الصّحراوية:

بالرغم من إمكانية ضمّ معظم المدن العربية إلى المدن التي يشملها المناخ الصّحراوي وشبه الصّحراوي، فإن الروايات المعنية بالصحراء لم تنظر إليها كذلك. لقد تم تناول الصحراء في معظم الروايات خارج المنحنى السياسي الذي لا يستغنى عن وجود المدن، لقدرة المدن على تأطيره، ومساعدته على معاينة تجلياته وانعكاساته في الكتل البشرية الكبرى التي تضمها المدن، والصحاري بطبيعتها تخلو من الكتل السكانية الكبرى ويخلو معظمها حتى من التجمعات الصغرى[3].

---

[1] الطيب لسلوس: مداخلات المنجز السردي للسعيد بوطاجين، ص 169.

[2] المرجع نفسه، ص 170.

[3] صلاح صالح : الرواية العربيّة والصحراء، ص175.

تحدث الكاتب عن المدن الصّحراوية بشكل لافت للانتباه، ويمكن الإشارة إلى هذه المدن بقلم الكاتب كالآتي :

1) مدينة جانت :

تعتبر هذه المدينة عروس الصّحراء لأنّها تتربع على مساحات شاسعة من الكثبان الرملية، وتحتوى على الكثير من أشجار النخيل. هذا الذي أضفى عليها ميزة جمالية كبرى، ففيها يقام «مهرجان الأغنية التاريقية»، الذي يضم مجموعة من الرجال والنساء والفرسان والإبل والأطفال، كما نجد أيضا التوارق يرقصون بالسيف والخناجر ، حيث تتعالى الأصوات تحت أهازيج الأغاني، ويتهافت الجميع على هذا المهرجان "على اليمين شاهدت العشرات من الجنود مكوّنين طابورا طويلا على هؤلاء الماليات مقابل مائة دينار تدفع مسبّقا لصاحب المطعم الذي يتولّى بدوره تنظيم الزبائن"[1] .

وفي هذا المهرجان نجد النسوة يرقصن بالملاءات السوداء وهنّ سافرات الوجوه متبرجّات، أما الرجال التوارق فيؤدون الرقصات الجماعية بسيوفهم وخناجرهم وهم ملثمون.

2) مدينة عين صالح:

عين صالح مدينة الرمال والتمور والنخيل، وتعتبر أيضا مدينة الأولياء الصالحين فهي كما قيل تحوي سبع وسبعين وليّا صالحا ، فسكانها بين فترة وفترة يقيمون "وعدة" مع أحد أوليائها الصالحين . وعلى ضفاف هذه المدينة توجد القبة الخضراء مزار "مولاي لحسن"، وهنا نلمس كرم الناس وسخائهم في إكرام الزّوار بالأكل والماء والشرب.

[1] الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013، ص 25.

3) مدينة ورقلة :

تميزت هذه المدينة بنخيلها وعمرانها واتّساعها، "هاهي سبخة الملمح تلمع كالمرجان"[1]، وتختلف عن بقية مدن الصّحراء في شوارعها الطويلة المكتظّة بالسكان وعماراتها التي تحاول أن تعانق السماء، وبالتالي تعد مركزا عمرانيا هاما.

4) مدينة غرداية :

تقع في واد بين جبلين شامخين يتوسطهما شارع طويل يبدأ من بلدية « ضاية بن ضخوة» حتى العطف ، وتعتبر مدينة غرداية جوهرة الواحات، حيث تضم مجموعة من الدوائر والبلديات من بينها "دائرة زلفانة"، التى يوجد فيها حمّام الصالحين مركبا للاستشفاء والعلاج .

5) مدينة الأغواط :

تعتبر الأغواط عاصمة الأرباع، و"الأرباع قبيلة من القبائل العربية الأصيلة" [2] . ومن صفات أهلها الكرم والسخاء والطيبة والأنفة . كما نجد لهجتهم في أغلبها عربية فصيحة، بالاضافة إلى أن هذه المدينة كانت "منشأ «للناصر بن شهرة» رجل المقاومة والتضحية... ومعقل للإمام « أحمد شطة» والشيخ« العربي تبسي» وغيره كثيرون .. وموطن « الزاوية التيجانية» التي نشرت الإسلام عبر ربوع إفريقيا .. وهنا « الأرباع» الأشمّ قبيلة الأنفة والشهامة والعزّة"[3].

ويشير الكاتب إلى منطقة "حاسي الرمل" المنطقة الصناعية، فهي تزخر بآبار الغاز والبترول، كما يوجد في هذه المنطقة أكبر احتياطي في الغاز الطبيعي ما يجعل

---

[1] الأخضر بن السايح: صحراء الظمأ، ص 140.

[2] المصدر نفسه ، ص163.

[3] المصدر نفسه، ص 195.

الجزائر في مصافّ الدول الكبرى من حيث تصدير هذه المادة الخام. كما يطلق على حاسي الرمل إسم "مدينة بلبل "، فسكانها من عرش الحجاج وهم بطن من بطون الأرباع.

6) مدينة عين ماضي :

يوجد في هذه المدينة معقل الزّاوية التيجانية "كوردان"، حيث يذهب الناس إليها طلبا للشّفاء، ويصفها لنا الكاتب بقوله: "هاهو المزار في وسطه قبّة كرويّة الشكل تحيط به أضرحة.. يتوسط القبّة شجرة خضراء وارفة الظلّ مشبّعة برائحة العطر والبخور "[1] وهو المناخ الذي ترعرع فيه.

كما نجد أيضا ضريح سيدي التجاني وسيدي عبد الحميد وسيدي الطاهر ولالّة فاطمة وأحفاد الحسن والحسين.

7) مدينة تيارت :

هنا معقل الدولة الرستمية وموطن القمح الجزائري الصلب، لكن في السنوات الأخيرة كان للجفاف الأثر الكبير في تصّحر المنطقة التي أصبحت شبيهة بالجنوب الجزائري الكبير، وتتميز مدينة تيارت بكثرة المرتفعات والمنخفضات .

تشتهر المدن الصّحراوية بأجمل غروب شمس، وتعتبر مقصدا مهما للسياح فمن يزور هذه المدن لابد أن لا يفوّت عليه فرصة التمتع بمنظر أجمل غروب على الإطلاق وسط لوحة فنية رائعة تمزج بين شموخ الجبال وصفاء الرمال وروعة السماء عند الغروب.

ومن هنا يمكننا القول، إن المدن الصّحراوية تضم الكثير من الواحات، بالإضافة إلى أنّها تشهد حركة سياحية نشطة؛ بسبب الرحلات التي تقوم بتنظيمها في عمق الصحراء.

---

[1] الأخضر بن السايح: صحراء الظمأ ، ص168.

إذن هذه هي خريطة أهم المدن الصّحراوية التي وزعها الكاتب جغرافيا على مساحة روايتة، واستلهم خصائصها السياحية والحضارية من معين ثقافته الصّحراوية.

ب) الشمس الصّحراوية:

قلما تخلفت رواية متعلقة بالصّحراء عن الشكوى من الشمس الصّحراوية التي تراوحت أساليب التذمر منها بين اعتبارها عدوا ينشر الموت والحمى، واعتبارها مصدرًا مستمرًا للهب المتأجح في الصحراء طول النهار[1].

تناولت «صحراء الظمأ» الشمس الصّحراوية بجانبها المحرق ، ويتجسد ذلك في قول الكاتب: "من يوقف لهيب الشمس المشتعل .. إنّها الشمس المحرقة أحرقت ساكنيها بحرّها"[2]، فأشعة الشمس الساخنة أحرقت جميع مواطنها بلهيبها ، ويضيف السارد قائلا: "كنت انتظر غروب الشمس ولم استطع تحمل حرارة الشمس القاتلة "[3]، فهنا وصف لشدة القيظ أثناء سطوع الشمس نهارا.

وبناء على ما تقدم، فإنّ الرواية غلب عليها طابع التذم ر، فالكاتب لم يتناول الشمس من جانبها الجمالي والشاعري أو الوظيفي، وإنّما بوضعها المؤذي (سياط تلهب أجساد البشر).

ج) الرمال:

تشكل الكثبان مساحات واسعة من الصّحراء العربية، وقد تعرض الكاتب للحديث عن الرمال، وذلك أثناء رحلته الشاقة يقول: "تبدو على حافة الطريق بقايا سلاسل جبلية قديمة تتخلّلها مساحات شاسعة تغطّيها الكثبان الرملية " [4]، وتتميز هذه الكثبان بنعومتها

---

[1] صلاح صالح: الرواية العربيّة والصحراء ، ص 163.

[2] الأخضر بن السايح: صحراء الظمأ ، ص11.

[3] المصدر نفسه، ص 53.

[4] المصدر نفسه، ص12.

ونظافتها وكثافتها ويتجلى ذلك في قول السارد :"أحسست بنعومة الرمال وبرودته "[1] وأيضا قوله:"أنا انبطحت خارج الخيمة على تلك الرمال الرطبة ونمت"[2].

تعتبر الكثبان الرملية التي تغطي مناطق شاسعة من الصّحراء إحدى المعالم المتميزة، والمُشاهِد لها لا يخلو من الدهشة لبساطة تكوينها ونظام تشكلها ؛ فهي ليست أكواما متناثرة بل هي مجموعات منتظمة في ترتيب واضح ودقيق ، كما تُمكّن السياح من الاستشفاء بالحمامات الرملية الساخنة.

إذن فالكثبان الرملية بأشكالها الفنية المتعددة تعتبر من المعالم الرئيسة في الصّحراء.

د) السراب:

يعلل الفيزيائيون ظهور السراب على صفحات الصّحراء بأنّه ناتج عن الانعكاس الكلي الداخلّي للضوء، فعندما تكون الشمس ساطعة، ترتفع درجة الحرارة على سطح الصّحراء، وتسخن طبقة الهواء التي فوقها، وتكون درجة حرارة الهواء في الطبقة التي تليها أقلّ سخونة وهكذا . وفي هذه الحالة تنتقل الأشعة الصادرة عن الأجسام على سطح الأرض من منطقة هواء بارد نسبيا إلى أخرى فتسخن، فتنكسر الأشعة الفاصلة بينهما متبلعدة عن العمود المقام على السطح الفاصل من نقطة السقوط، وتستمر كذلك إلى أن تصل زاوية السقوط إلى زاوية أكثر من الزاوية الحرجة، فتنعكس انعكاسا كليا داخليا ونتيجة لذلك يسير الضوء إلى عين الناظر فيراه متحركا على وجه الصّحراء، وكأنه الماء المتحرك[3].

---

[1] الأخضر بن السايح: صحراء الظمأ، ص 30-31.

[2] المصدر نفسه، ص 127.

[3] أحمد موسى التوتي: الصحراء في الشعر الجاهلي، ص219.

فالسراب مرتبط بالعطش، وهو خادع يتراءى للمسّافر كأنه الماء، يقول الكاتب: "السراب يظنّه الظمآن ماء "[1]، والرحلة في السراب كالرحلة في البح ر، لأنّه من يرى السراب يظنّه بحرا، فهو يجري كالماء، وهنا يقول الكاتب: "مازال السراب يتلألأ من بعيد كأنّه البحر"[2].

ظاهرة السراب الصّحراوي من الظواهر المعروفة في الصّحراء منذ زمن، يصفها لنا الكاتب في قوله :"السراب يتلألأ كالماس "[3]، وأيضا"السراب مازال يضرب كاللآلىء"[4] فهو بريق خادع يغري بتتبعه اللامنتهي.

وإجمالا لكل ما سبق يعد السراب من أكثر الظواهر الطبيعية انتشارًا في الصحارى وأجملها، ويعد أيضا من أهم العناصر التي تشكل الصورة الفنية، لما يشتمل من دلالات فهو الأقدر على منع المشاهد الوهمية للرائي.

---

[1] الأخضر بن السايح: صحراء الظمأ، ص10.

[2] المصدر نفسه، ص 16.

[3] المصدر نفسه، ص 82.

[4] المصدر نفسه، ص 112.

ثانيا : الرحلة في الصّحراء

خلق اللّه الإنسان محبّا للحركة والتّنقل وأمده بالعقل الذي يدعوه لذلك، والجسم القوي الرشيق الذي يعينه على الانتقال من موضع لآخر [1]. وميل الإنسان إلى الاستطلاع، ورغبته في السيطرة على العالم الخارجي، دفعته إلى التنقُّل والرحلات[2] .

إن الرحلة العربية في وجودها ونموها تمثّل عنصرا ثم شكلا خالصا ضمن دائرة متفتحة على أنواع صغرى وكبرى، هي بناء يتناسب ويتشكل باستمرار [3] .

ويرى الشيخ "حسين العطار" في الرحلة، فرصته لمشاهدة عجائب الدنيا، ومحكما أساسيا لتجارب الإنسان ومعلوماته[4].

والرحلة بتعبير "فلادمير كريزنسكي" هي بطبيعتها متعايشة ومشاركة للتاريخ والميثولوجيا والأدب دون الحديث عن الاثنوغرافيا .. إنها إحدى النماذج التيماتيكية والرمزية من الأدب الأكثر إنتاجا[5].

وهي أيضا وسيلة هامة لاكتشاف العالم والإنسان، وتوسيع لخبرات الرحالة ومعارفه، وفي هذا المضمون، يقول الفيلسوف الإنجليزي "فرانسيس":"إن السفر تعليم للصغير، وخبرة للكبير"[6].

---

[1] فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002، ص17.

[2] جان عبد الله توما: أدب الرحلة والرّحّالون العرب، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2014، ص09.

[3] شعيب حليفى: الرحلة في الأدب العربي (التحسن، آليات الكتابة، خطاب المتخيّل)، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ط1، 2006، ص09.

[4] سميرة أنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري (دراسة في النشأة والتطور والبنية)، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، (د-ط) ، 2009 ، ص21.

[5] شعيب حليفى: الرحلة في الأدب العربي، ص08-09.

[6] سميرة أنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص22.

ومن هذه التعريفات المختلفة نتفق على أنّ الرحلة تعنى الإنتقال من مكان لآخر لتحقيق هدف معين، ماديا كان أم معنويا.

المرتحلون القدامى في الصّحراء من الشعراء والغزاة والمحاربين، استخدموا النوق والخيول لاجتياز المفازات الهائلة في الصحاري، ولم يستطيعوا إلا أن يذكروا ذلك في شعرهم والروائيون في القرن العشرين قاموا بارتحالات مماثلة، أو على الأقل عاينوها، وإن اختلفت الغاية والوسيلة وكان التحريك المشهدي يحدث مجازيا، كلما تغيرت المشاهد بتغير موقع الرؤية أو تغير زاويتها. ولذلك تكررت وسائل الانتقال المعاصرة في معظم الروايات المعنية بالصحراء [1].

وليس لنص الصحراء ابتداء ولا انتهاء، وإنّما نصها مثل كثيب الرمل، يتنقل مع الريح عبر الامتداد، فيتشكل سريعا في هيئات وأحوال تتبدل باستمرا ر، وكأنه يرفض الثابت القار ليلبس التحول والتبدل. وكأن وجه الصحراء الأصفر من ذلك الشحوب الذي ينتاب وجه المسافر فيرسم على محياه كثيرا من التحول والجفاف[2] .

لقد امتد نص الصحراء طويلا في كل الكتابات، وكأنّه يسير سير القوافل عبر المفاوز والتجود، ويسترسل كما تسترسل الحكايات التي يرويها أصحاب القوافل عن رحلاتهم ومشاهدهم الغارقة في الغرابة[3].

في "صحراء الظمأ" رحلة طويلة بالسيارة تبدأ من أقصى الجنوب إلي الغرب الجزائري «معسكر».

---

[1] صلاح صالح: الرواية العربيّة والصحراء، ص 211.

[2] الطيب لسلوس: مدخلات المنجز السردي للسعيد بوطاجين، ص193.

[3] المرجع نفسه، ص193-194.

تبدأ أحداث الرواية مع "مصطفى" الرجل الكريم، يشتغل موظفا في الدولة، يشرف على السياحة مفتشا عاما. وقد عهدناه مرحا مولعا بالطبيعة مفتونا بها، يحب النخيل يعانق أشجارها ويسهم في غرسها .

في أحد الأيام اتصل بزوجته "سارة"التي تعمل مرشدة وخبيرة في السياحة، المقيمة في مدينة معسكر، لكن ما من مجيب، يتساءل "أين ذهبت"، ويقول : "هل استغلت غيابي لتمارس فعلتها الشنيعة "[1]، وبدأت تدور في رأسه أفكار شيطانية حول "سالم" "إنّه زير نساء لا يمل من الطّراد كالثور الهائج"[2].

"مصطفى" أعمته الغيرة لا يبصر إلا زوجته وهي في أحضان الملعون الجائع "سالم"، إنّه يريد أن يصل إلى بيته في لمح البصر، إذن ماذا سيفعل ؟

هنا تبدأ الرحلة حينما التقى "مصطفى" مع "اينازم" الرجل الأزرق التار قي، فقال له:باستطاعتنا أن نقلّ سيارة لو كان عددنا أكثر، فالمسافة بعيدة والمبلغ مرتفع لكن من شدة قلقه وتوتره قال سأدفع أنا .

اكتمل العدد وانطلقت الرحلة، يتأمل "مصطفى" المسافرين معه الواحد تلو الآخر ويقول مع نفسه :"مساكين هؤلاء يقضون أعمارهم في المنفى بحثا عن لقمة العيش .. ويتركون زوجاتهم كالدجاج المشحم عرضة للذئاب والثعالب تنهش لحمها وتزرع بذرها ليجني هؤلاء البنين والبنات"[3].

يزداد طول الطريق ويزداد معها الأرق والتعب ويزداد الحرّ، فلهيب الشمس المشتعل أحرقهم. يطلبون من السائق "حيدر عبد السلام" بعض الوقت للاستراحة نزل

---

[1] الأخضر بن السايح: صحراء الظمأ، ص06

[2] المصدر نفسه، ص06.

[3] المصدر نفسه، ص10.

الجميع، أما "مصطفى" لم يكترث بأصحابه واتجه مباشرة واتّكأ . فمظهره كان يوحى بالجنون، لأنّه كان يريد الانتقام من" سارة" و"سالم ".

تطول الطريق ويزداد معها الحر، فلا أثر لحيوان أو نبات أو شجر، يبدو كل شيء ساكنا في الصّحراء، والمكان واحد بتضاريسه وسهوله ووديانه ومرتفعاته .

"حيدر" يقود السيارة بسرعة فائقة، لأنّ الرحلة طويلة هاهم الآن في مدينة "جانت" عروس الصحراء نزلوا إلى الفندق لمدة يومين ليأخذوا قسطا من الراحة يجنبهم متاعب السفر. و كان الفندق يغص بجميع الجنسيات المختلفة أغلبهم من النساء انجليزيات وفرنسيات وألمانيات فيهم السود والبيض والحمر والسمر.

استمرت الرحلة إلى مدينة "ورقلة"، هنا في الجنوب الحياة خالية من كلّ شيء إلاّ من بعض الطيور الرمادية القليلة التي تشبه لون الصحراء.

تتوقف السيارة اثر عطل في العجلة الأمامية على بعد بضعة أمتار خارج الطريق في وسط الكثبان الرملية لا أول لها ولا آخر، ينزل الجميع من السيارة وهم خائفون "سيقتلنا الظمأ.. صحراء موحشة وصحراء قاتلة"[1].

أخذ "حيدر" الرافعة واتّجه إلى الحفرة التي جّهزها تحت العجلة وبيديه القويتين استطاع أن يضع بعض الأحجار في الهاوية ويثبت الرافعة ويرفع سيارته في لمح البصر، ينزع العجلة الأمامية ويضع مكانها أخرى جديدة . الصحراء كانت أرضا خالية على عروشها لا إنس ولا جنّ ولا شجر ولا طيور ولا أي حركة، لذلك كانت الرحلة صعبة وطويلة وجد متعبة .

انطلق "حيدر" صوب مدينة "ورقلة " مدينة النخيل، حيث انبهر بها الجميع، وهنا يقول فيها "حيدر" :"هل نحن في الشمال أم الجنوب ؟! عمارات شاهقة البناء... شوارع

[1] الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص74.

طويلة مكتظّة بالسكان ..نساء سافرات..موسيقى صاخبة [1]. " في حين نجد "مصطفى" يتفقد خنجره طيلة الطريق ويقول :"سارة ستأخذ جزاءها ..سأقتلها مع الصعلوك سالم"[2].

شعر الجميع بالتعب إلى أن وصلوا ولاية "غرداية"، التي يوجد بها حمام الصالحين توقف "حيدر" ليستحم الجميع ويرتاح الجميع قليلا من صندوق السيارة. وبعدها يواصلون رحلتهم المتعبة والشاقة – فالصّحراء كان كل شيء فيها هادئ وساكن إلاّ من أزيز المحرّك الذي يلتهم استقامة الطريق الصّحراوي – إلى أن وصلوا مدينة "معسكر" هنا تنتهي رحلة "مصطفى" التي كان هدفها الانتقام .

وفي نهاية المطاف بقى لنا أن نقول ، إنّ الرحلة في الصحراء طويلة وقاسية وجد متعبة، نظرا لحرارة مناخها وشساعة أراضيها ونمطية مناظرها ، فالصّحراء أكثر بقاع اليابسة اتساعا وأضيقها احتمالا.

---

[1] الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ، ص141.

[2] المصدر نفسه، ص127.

ثالثا :أهم مكونات عالم الصّحراء

أ) عالم الإنسان :

الإنسان هو محور النص الروائي والمحرّك للأحداث، والعنصر الفاعل في كل التطورات التي تحدث في المجتمع لأنّه المعنيّ بها أساسا، وهذا العالم هو الذي نعبر عنه بعالم الشخصية[1].

اكتسبت كلمة (الشخصية) في الرواية مفاهيما متعددة بتعدد وجهات نظر الأدباء والنقاد، لكن المعنى الشائع لها هو أنها "مجمل السمات والملامح التي تشكل طبيعة شخص أو كائن حي..وهي تشير إلى الصفات الخلقية والمعايير والمبادئ الأخلاقية، ولها في الأدب معاني أخرى وعلى الأخص ما يتعلق بشخص تمثله قصة أو مسرحية"[2].

ويذهب علماء النفس في تعريف الشخصية وفق ماهيتها السيكولوجية إلى أنّها:«تنظيم داخلي للسمات والاتجاهات والاستعدادات والانساقات السلوكية»[3].

وهناك من يرى أن الشخصية " كائن بشري من لحم ودم، وتعيش في مكان وزمان معينين، ويرى آخرون بأنها هيكل أجوف ووعاء مفرغ يكتسب مدلوله من البناء القصصي، فهو الذي يمده بهويته"[4].

---

[1] الطيب لسلوس: مداخلات المنجز السردي للسعيد بوطاجين، ص117.

[2] غسان كنفاني، صبيحة عودة زعرب: جمليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1 2006، ص117.

[3] محمد صابر عبيد، سوسن البياتي : جماليات التشكيل الروائي (دراسة في الملحمة الروائية)،عالم الكتب الحديث إربد، الأردن، ط1،2012، ص143.

[4] غسان الكنفاني ، صبيحة عودة زعرب: جماليات السرد في الخطاب الروائي ، ص117.

ومما سبق نرى أنّ هذه المعاني تصقل فكرة أنّ الشخصية الروائية من العناصر الأساسية في بناء الرواية، فما إن تذكر الرواية حتى تذكر الشخصيات لأنّها من المقومات الرئيسة فيها، ومن الصعب فصل هذا العنصر عن غير ه فهو يرتبط بالحدث ولا يمكننا أن نتصور حياة دون شخصيات تتحدث وتفعل، وتعدد شخصيات العالم الروائي بقدر تعدد وتشابك الأفكار والأفعال .

شخصية المرابط:

وهو الراوي، والراوي كما نعلم ليس هو تماما الكاتب، وقد دخل عالم قصّه فوضع بينه وبين ذاته مسافة تحول دخول هذا العالم الذي هو عالم الشخصية أو الشخصيات التي يحكي عنها، إن وضع هذه المسافة، أو إن توسّل الكاتب تقنية الراوي، معناه تمكنه من ممارسة لعبة الإيهام بحقيقة ما يروي[1] .

فالراوي هو «الذي يحكي لنا القصة وينظم فقرها، ويورد مقاطعها حسب إرادته واختياره، ويعرض علينا الأحداث من وجهة نظر هذه الشخصية أو تلك أو من وجهة نظره هو بالذات، ولكنه أيضا شخصية»[2].

إذن فالراوي هو المحرك الأساسي لعملية القص الروائي، وبالتالي لا تخلو أي حكاية طالت أو قصرت من متكلم يروي تفاصيلها.

[1] يمني العيد: تقنيات السرد الروائي(في ضوء المنهج البنيوي)، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص 263.

[2]محمد صابر، سوسن البياني : جمليات التشكيل الروائي«دراسة في الملحمة الروائية »، ص 150-151.

الشخصيات التي كانت في الرحلة:

1) مصطفى:

شخصية تواتر ذكرها كثيرا في الرواية حيث يرد في بداية النص الروائي وفي مواطن عدّة من الرواية .

يقيم مصطفى في الغرب الجزائري (معسكر)، لكنه يشتغل في أقصى الجنوب مفتشا عاما للسياحة، وقد عهدناه"رجلا كريما سخيا وسيما بهيّ الطلعة مليح الوجه أنيق المظهر مرحا مولعا بالطبيعة مفتونا بها، يحب النخيل يعانق أشجارها ويساهم في غرسها ولا تراه إلا واقفا تحتها محرّصا على غرسها أو يتكلم عن تمرها وفوائدها كمصدر للبلاد والعباد وقبلة السائح الذي يحنّ إلى الجنوب، إلى الحرّ هربا من بلاد الثلج والبرد والصقيع"[1].

2) حيدر عبد السلام:

هو سائق عالم بدروب الصحراء، لا يتجاوز الثلاثين من عمره، رجل جريء رغم تهوره، خفيف الروح لمجرد أن تتكلم معه ي خيّل إليك أنّك تعرفه منذ زمن، بالإضافة إلى أنّه رجل قوي أسهمت في تكوينه تضاريس المنطقة وقسوتها، فالصحراء خلقت منه بطلا لا يقهر.

3) اينازم

إنّه الرجل الأزرق التاريقي، يعتز بعروبته وبأصله، وكان رجلا" طويل القامة نحيف الجسم ملثّم الوجه لا تبصر منه إلا زرقة العيون . يلبس عباءة تحوي جسمه يقبض وسطه بحزام يتدلّى منه خنجرا"[2].

---

[1] الأخضر بن السايح: صحراء الظمأ، ص 05.

[2] المصدر نفسه، ص 09.

4) الطيب :

رجل متدين ويصفه الكاتب بقوله :"رجل ملتح.. يلبس عباءة ويمسك مصحفا بيده يبدو على راحة يده أثر الحنّاء.. عيناه سوداوان من فرط الكحل"[1].

5) سعيد :

أمازيغي من منطقة تيزي وزو ، مناضل في حركة المجتمع الثقافي جاء إلى منطقة التوارق في إطار الحملة لحزبه وللّم الشمل الأمازيغي.

6) سوزان:

انجليزية في الخامسة والعشرين من عمرها، وهي عشيقة السائق "حيدر عبد السلام"، لأنّها "آية في الروعة والجمال سبحان من صوّرها، بيضاء ناصعة البياض وجنتاها تميلان إلى الحمرة .. حلوة تملك مغناطيسا خاصا.. شهية إلى حدّ الجنون"[2].

7) عبد الجليل:

هو رجل هادئ ومتزن يحلل الأمور بعقلانية، دبلوماسي في تصرفاته وطريقة كلامه لا يزعج الآخرين، يحمل في نفسه من القوة والثقة ما يبدو عليه في كل تصرفاته وحركاته، وله علم بكتاب اللّه وسنة رسوله الكريم.

ومنذ عشر سنوات اشتغل معلّما في أحد المدارس الموجودة في القرى النائية بالجنوب الجزائري، ولكنه تعب من هذا العمل ماديا ومعنويا فاستقال.

---

[1] الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص18.

[2] المصدر نفسه، ص 42.

شخصيات نسويه أخرى:

1) المرأة التاريقية "تامت":

يقال أنّها حلوة المذاق شهية إلى حدّ الجنون ممتعة وممتلئة، لأنّها "سمراء كحبّة القمح.. شفتاها كحبّات توت نضجت على مهل.. خاصرتاها كخاصرتي ظبي ممتلئ.. طويلة الرقبة قوية البنية .. تشعر بجاذبية نحوها.. أشبه بحبّة الفلفل التي تجمع بين اللّذة والألم"[1]. "وتامت" هي امرأة وافرة الظلّ طولا وعرضا، ممتلئة، سمراء جميلة. وهي عشيقة "حيدر عبد السلام" .

2) عائشة:

من مدينة "تيارت"، تشتغل في مدينة "عين صالح" عند شيخ مشعوذ، تعيش تحت وطأة الفقر، ونظرا لصعوبة الحياة وقلّة الحيلة اضطرت إلى أن تشتغل عند هذا الشيخ. وهي أيضا عشيقة "حيدر عبد السلام" .

3) سارة :

زوجة "مصطفى" وهي امرأة مؤمنة طاهرة وشريفة، تعمل مرشدة وخبيرة في السياحة ، وتقيم في الغرب الجزائري «معسكر».

الشخصيات العابرة:

1) أحمد:

يشتغل مرشدا سياحيا على مستوى جبال الهقار والطاسيلي، وهو صديق السائق "حيدر عبد السلام"، وأصله«أماريغي» لكنّه أنكر هذه الكلمة وقال :"أنا جزائري عربي..عربي بانتمائي.. الإنسان يقاس بانتمائه الحضاري "[2]. لأنه يعتّز بوطنيته وبانتمائه العربي.

---

[1] الأخضر بن السايح: صحراء الظمأ ، ص 27.

[2] المصدر نفسه ، ص 40.

2)عباس:

من مدينة "جانت"، متقاعد من الجيش الوطني الشعبي برتبة ضابط سامي، يشتغل فلاّحا وله واحة من النخيل استثمرها منذ مدّة وحوّلها إلى جنة. وهو رجل يحبّ الضحك.

3) سالم:

هو زير نساء لا يملّ من الطراد كالثور الهائج، ولا يعرف إلا نزواته وينال مراده من المرأة التي يريدها، ولا يفرق بين امرأة وأخرى حتى ولو كانت متزوجة.

4) علاّل:

الرجل البدوي ينتسب إلى «الشعانية» ، وهو صياد ماهر يضع بندقية دائما على كتفه، وهي علامة مميزة لرجولة البدوي.

5)الشيخ:

يشتغل في "عين صالح"(القبة الخضراء«مولاي لحسن »)، قدم من مدينة "بشار" منذ أربع سنوات ويقال أنّه يعالج السحر والعقم عند النساء، كما يكتب الحروز وتتهافت عليه النسوة بكثرة، خاصّة شريحة العوانس. وهو في الأصل مشعوذ وكذاب يستغل ضعف النساء في هذا الجانب ويوهمهن بجلب الحظ وتحقيق المراد.

الآن، وبعد هذه المساحة الممتعة مع شخصيات الرواية، أو بتعبير أدق مع جمالياتها، يمكننا القول إن كل الشخصيات ساهموا في دفع أحداث الرواية، فالشخصية هيكل الرواية؛ لأنّها تتيح للروائي رسم لوحة فنية جميلة، ويقدم في نفس الوقت فكرة عن فنه.

ب) عالم النبات:

لقد حاول الروائيون العرب أن يزحموا الفراغ الصّحراوي بموجوداته القليلة النادرة كنبتاته النادرة، فقد يسير الإنسان أياما في الصّحراء دون أن يشاهد شجرة واحدة [1]. والنباتات الصّحراوية التي شغلت الصّحاري الروائية كانت أقل تنوعا، وأقل واقعية أيضا وأكثر ندرة من تلك التي شغلت صّحاري الشعراء القدماء[2].

ومن بين النباتات التي استظل بظلالها الكاتب في قوله:"نستريح هناك قليلا حيث أشجار العرعار، نستظل بظلالها "[3]. ويردف "مساحات شاسعة من الكثبان الرملية .. في وسطها بعض أشجار النخيل "[4]، وهنا "تذكرت موقف السيارة تحت النخلتين الباسقتين في الطول"[5].

وردت في الرواية أنواع متعددة من الأشجار لكّن أبرزها "أشجار النخيل"، فالنخلة تعد أعظم شجرة منتجة في المناطق الصّحراوية، لأنّها أقدم شجرة زرعها الإنسان منذ سالف العصر والزمان. كما تتميز عن سواها من الشجر بتحملها للظروف المناخية القاسية وتعميرها لسنوات مديدة .

وتمتلك منطقة الصحراء حياة نباتية متميزة بقدرتها على مقاومة الظروف الطبيعية الصعبة المتمثلة في الجفاف، الذي يعد السمة الرئيسية للصّحاري والنتيجة الحتمية لانخفاض كمية الأمطار السنوية، وارتفاع معدلات التبخر خصوصا من أسطح الصخور المكشوفة العارية بواسطة أشعة الشمس الساخنة، ويعد أيضا سببا من أسباب خلو الصّحراء من الحياة.

---

[1] صلاح صالح: الرواية العربيّة والصحراء، ص 177.

[2] المرجع نفسه، ص 178.

[3] الأخضر بن السايح: صحراء الظمأ، ص 13.

[4] المصدر نفسه، ص 24.

[5] المصدر نفسه، ص 30.

ج) عالم الحيوان:

إن الحيوانات التي تعيش في المناطق الصّحراوية قليلة جدًّا، بسبب فقر الحياة النباتية، وقد وهب اللّه هذه الحيوانات خصائص معينة تستطيع من خلالها التكيف مع الظروف القاسية في المناطق الصّحراوية.

ومن أهم الحيوانات التي تعيش في الصّحراء الإبل والغزلان، ويتجسد ذلك في قول الكاتب: "من بعيد تبصر قطعان الغزلان متّجهة نحو المرتفعات ... ولأول مرة رأيت بعض الإبل القادمة يسوقها صاحبها.. شعرت بالحياة هنا "[1]، وفي وصفها يقول:"قطعان إبل بيضاء ورمادية داكنة"[2].

فحياة سكّان واحات الصّحراء تقوم على تربية الإبل التي تعد مصدرا أساسيا للغذاء والثروة.

ويأتي سرب الطيور في قوله:"الحياة خالية من كلّ شيء إلاّ من بعض الطيور الرمادية القليلة التي تشبه لون الصحراء. قيل إنّ هذا النوع من الطيور يتحملّ ظمأ الصّحراء"[3]. وبالتالي؛ فألوان الحيوانات تؤدي دورا مهما في عملية التخفي والتواصل بين الحيوانات، فدور الألوان في عملية محاكاة البيئة واضح وجلي في كائنات مثل: الطيور والثعابين التي تضع أعشاشها على الأرض.

كما يضيف السارد قائلا:"خرجت الذئاب والثعالب والحمير والأفاعي والثعابين والعقارب من جحورها ملوّحة مندّدة"[4]، وأيضا "تتعالى أصوات الحيوانات والطيور.. نقيق

---

[1] الأخضر بن السايح: صحراء الظمأ، ص 24.

[2] المصدر نفسه، ص 111.

[3] المصدر نفسه، ص 69.

[4] المصدر نفسه، ص 45.

الضفادع لا ينقطع ونباح الكلاب.. صوت الصراصير .. صهيل حصان من هنا وهناك نهيق حمار يتعالى من جهة الجنوب"[1].

أما الزواحف مثل الأفاعي فمعظمها يختفي بالنهار ولا يظهر إلا في الليل، يقول الكاتب :"إنها أفعى سامّة تمشى مسرعة فيحتّك جلدها محدثا تلك الومضة"[2].

بالإضافة إلى وصفه للظبي "ظبي سمين بقرون طويلة في مقدّمة القطيع تعقبه مجموعة أخرى فيها الصغير والكبير"[3].

إذن كانت هذه أهم الحيوانات التي تستطيع أن تعيش في الصحراء وتتكيف مع قساوة الطبيعة ؛ التي ندر فيها الأمطار، وبالتالي يشحّ فيها الغطاء النباتي.

---

[1] الأخضر بن السايح :صحراء الظمأ، ص 104.

[2] المصدر نفسه، ص 134.

[3] المصدر نفسه، ص 135.

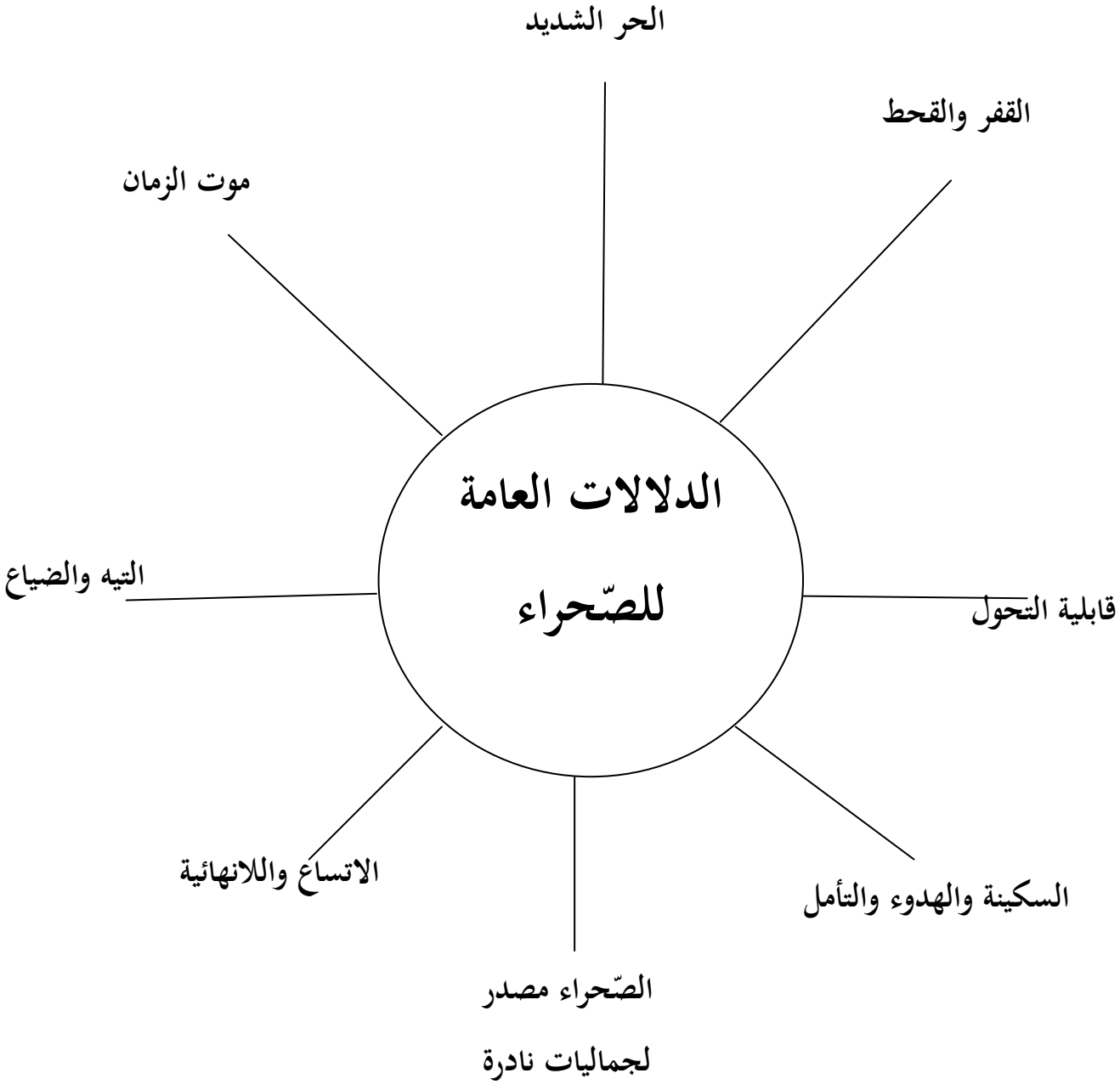
الحر الشديد
القفر والقحط
موت الزمان
الدلالات العامة
للصّحراء
التيه والضياع
قابلية التحول
الاتساع واللانهائية
السكينة والهدوء والتأمل
الصّحراء مصدر
لجماليات نادرة

رابعا: الدلالات العامة للصّحراء

ظلت الصّحراء ردحا طويلا ترتبط بالجدب والموات، بوصفها المكان الأقل ملاءمة لحياة معظم الكائنات الحية، ولكن بارتباطها باحتضان بعض الأديان الكبرى أزاح عنها مطلقية ارتباطها بالموت وجاء اكتشاف البترول وثرواتها الدفينة الأخرى سببا إضافيا لتحسين صورتها والتقليل من الاندفاع في معاداتها ورفضها، بوصفها مجالا قابلا للاستثمار الاقتصادي وتحقيق المنافع والأرباح.

ولذلك تعددت دلالات الصّحراء باختلاف الموقع الذي ترى منه الدلالة [1]، وعموما يمكن توزيعها في مجالين رئيسين: الأول القيم السلبية، والثاني يضم القيم الايجابية، أو تلك التي تبدو أنها كذلك.

أ- المجال الأول:

1) القفر والقحط:

فالصحراء الانموذجية لا حياة فيها، بل هي مجرد بحار من الكثبان الرملية. ومناطقها المحصبة لا تضم من مظاهر الحياة سوى النباتات الشوكية ، والحيوانات التي تعيش فيها حيوانات لا يمكن أن يصادفها الإنسان ، كالذئاب والأفاعي والسحالي وبقية الزواحف[2].

بمعنى أن الصحراء امتازت بالجفاف وندرة الأمطار، وبالتالي نجدها لا تضم سوى القليل من الحيوانات والنباتات. فالإنسان لا يستطيع العيش فيها لأنّها لا تتوفر على المياه، والأمطار نادرة بالصّحاري، بل تكاد تكون منعدمة مع العلم أن الحياة لا تقوم إلا بالماء.

---

[1] صلاح صالح: الرواية العربيّة والصحراء، ص 23.

[2] المرجع نفسه،ص 24.

ويتجسد ذلك في الرواية:"الأرض منبسطة لا عشب فيها ولا شجر.. قاحلة دكناء كأهلها.. كل شيء فيها يوحي بالخوف والمجهول "[1]، أيضا في قوله:"هناك الكثير من المزارع ماتت أشجارها من الظمأ "[2]، ويردف "من ينعش هذه الأرض القفراء "[3]، وهو السؤال الذي فرض نفسه على شساعة الصّحراء.

2) الحر الشديد:

على الرغم من البرودة التي تصل في بعض الصّحاري إلى ما دون الصفر المئوي؛ إلا أن ارتباط الصّحراء بالقيظ هو الأكثر انتشارا وفعلا في حياة البشر. فبرد الصّحراء يمكن دفعه بواسطة التدفئة البسيطة كالملابس المناسبة والنار بينما لا يمكن مجابهة القيظ بمثل هذه البساطة والقيظ الصّحراوي يمكن أن يؤدي إلى موت المتعرض للشمس الصّحراوية فترة طويلة[4].

فالمناطق الصّحراوية تعتبر أقل مناطق العالم سكانا نظرا لقساوة المناخ وشّدة ارتفاع حرارته أو انخفاضها. فالحياة في الصّحراء صراع دائم مع الطبيعة. ونمثل لذلك في:"غربت الشمس.. ظلام حالك إلاّ من تلك الأنوار المضيئة في الشوارع.. حرارة قاتلة إلى درجة الاختناق "[5]، حيث "تطول الطريق ويزداد معها الحرّ "[6]، "فكل شيء رمادي داكن.. يزداد الحرّ.. كل شيء ينتعل ظلّه"[7].

---

[1] الأخضر بن السايح: صحراء الظمأ، ص10.

[2] المصدر نفسه ، ص 86.

[3] المصدر نفسه، ص 144.

[4] صلاح صالح: الرواية العربيّة والصحراء، ص 25.

[5] الأخضر بن السايح: صحراء الظمأ، ص 155.

[6] المصدر نفسه، ص 16.

[7] المصدر نفسه، ص 11.

3) التيه و الضياع:

الصّحراء فردوس مفقود، وواحة مفقودة، ولا يعثر عليها إلاّ التائهون الذين فقدو ا الأمل في النجاة[1]. والصحراء في التوراة وفي القرآن ارتبطت بالتية، هذا الذي لحق بني إسرائيل جراء معاندتهم لموسى، فعذبوا بالتيه في صحراء سيناء، "وقد ظل هذا التيه علامة فارقة في حياة اليهودي وفي مخياله"[2].

فالضياع في الصّحراء أمر صعب للغاية ؛ لأن الصحراء وطن شاسع يشبه بحارا من الرمال أو متاهة معقدة يصعب على البعض الخروج من دهاليزها. وبسبب الاتساع الهائل، ورتابة المشاهد وتأثيرات القيظ والسراب. يصبح الظرف مناسبا للضياع، لا يشترط أن يكون فرديا؛ وإنّما يمكن أن يكون ضياعا جماعيا[3]. ويظهر ذلك في الرواية :"أهملت :"أهملت الاتجاه.. تهت بين دروب الصحراء "[4]، حيث "تبدو على حافة الطريق بقايا سلاسل جبلية قديمة تتخلّلها مساحات شاسعة تغطّيها الكثبان الرملية.. أرض خالية.." [5]. خالية.."[5]. فمن أسباب التيه والضياع في الصحراء هو شساعة أراضيها.

4) موت الزمان:

الصّحراء أقل بقاع اليابسة تأثرا بتعاقب الفصول. والفرق المشهدي بين فصل وفصل يمنح الناس إحساسا بالتغير وتدفق الزمان، على خلاف التعامل مع الصحراء التي لا يتغير فيها شيء حاسم في وضعها الأنموذجي[6].

---

[1] حسن المودن:الرواية والتحليل النّصي (قراءات من منظور التحليل النفسي)، دار الأمان الرباط، بيروت، لبنان، ط1 2009، ص67.

[2] المرجع نفسه، ص 66.

[3] صلاح صالح: الرواية العربيّة والصحراء، ص 25.

[4] الأخضر بن السايح :صحراء الظمأ،ص30.

[5] المصدر نفسه، ص12 .

[6] صلاح صالح :الرواية العربيّة و الصحراء، ص 25.

بمعنى أن فصول الصّحراء متشابهة، فهي لا تعرف إلا ربيعا قصيرا عابرا، أما باقي الفصول فتتميز بالحرارة الشديدة. ويتضح ذلك في قول الكاتب: "هنا في الجنوب الكبير لا تعرف صباحا أو مساء،عصرا أو مغربا لا تميّز الوقت وتبقى العملية ثنائية " [1].

ب- المجال الثاني:

وفي المجال الآخر «الإيجابي» هناك:

1) الاتساع واللانهائية :

للصّحراء دلالة الاتساع والفخامة واللانها ئية، تدعو إلى التأمل وتحوى ثراء من الموجودات لا حدود له، وامتداد يحمل حركة ، تبدأ من داخل الإنسان، ويتسع باتساع الوجود[2].

ولقد تميزت الصّحراء بشساعتها وفخماتها، وبأراضيها الواسعة، وبالتالي تبدو لنا بامتداد لا نهائي

2) الصّحراء مصدر لجماليات نادرة:

تستأثر الصحاري بمعظم الجماليات المتعلقة بالرحابة المشهدية، وجماليات شروق الشمس وغروبها، والتدفق الضوئي [3]، وتتسم بالصفاء وتدعو للتأمل المتناهي المقترن بالبهجة الغامرة، والرغبة في الاستطلاع الجمالي لروعة مظاهر الوجود الطبيعية[4].

ففي الصّحراء يمتزج لون الرمل بالسماء وتنعكس في درته الناعمة الصغيرة حقيقتها الصلبة، وعندما يتصور المرء أن هذه السعة من الأرض قد تجمعت بتجمع

---

[1] الأخضر بن السايح: صحراء الظمأ، ص 69.

[2] حمادة تركي زعيتر: جماليات المكان في الشعر العباسي، دار الرضوان، عمان ، ط1، 2003، ص27.

[3] صلاح صالح: الرواية العربيّة والصحراء ، ص 27.

[4] حمادة تركي زعيتر: جماليات المكان في الشعر العباسي، ص 77.

الذرات الصغيرة، يصبح العقل في منتهى الدقة من البحث والسعي والاستمرار في مواصلة الحياة[1].

وخلاصة القول إن الصّحراء تميزت بسمائها الصافية وبكثبانها الرملية وشروق شمسها وغروبها وبرمالها وواحاتها التي أضفت لونا جميلا على طبيعتها. ويسطع ذلك في قوله:"هاهي الأضواء تتلألأ.. تقدمنا قليلا وجدنا المآذن والقبا ت وقمم الجوامع وأسوارها.. أوّل ما شدّ انتباهي تلك اللوحات الباسقة من النخيل تحيط بالمدينة من كل جهة.. الكثبان الرملية في خطوط عمودية وأفقية منتصبة أمام خطوط من سعف النخيل "[2]، أيضا في قوله: "أحسست بنعومة الرمل وبرودته.. غصت في الرمل أكثر "[3].

إذن فللمغامرة في أعماق الصّحراء نكهة خاصة وسحر لا يقاوم، فليل الصّحراء جميل زاخر بمشاهد الفرح وأطياف المرح، يسكب فيه ضوء القمر على التكوينات الصخرية، نجومه تتلألأ، أما النهار فتسطع فيه شمس الحياة وتهتف فيه الرمال الناعمة.

3) السكينة والهدوء والتأمل

حيث يشيع السكون الشامل في الصّحراء، بالترافق مع الرحابة القصوى، مناخا شاملا للسكينة الداخلية والتأمل [4]، تمد الحلم بعناصر نماءٍ تأخذ من الملامح الجغرافية مادتها وتفسح للخيال مجالا لرسم ملامح إضافية، تكمل المساحات المتحجبة عن أعيننا[5].

فالمتأمل في الصّحراء يندهش بكثبانها الرملية وباتساع أراضيها، فهي تختلف عن المدن وذلك لسكونها وهدوئها، فضجيج المدن جعل الإنسان يبحث عن بديل لحياة أكثر

---

[1] ياسين النصير: الرواية والمكان «دراسة المكان الروائي»، دار نينوي، دمشق، سورية، ط2 ،2010، ص113.

[2] الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص 90.

[3] المصدر نفسه ، ص 30-31.

[4] صلاح صالح: الرواية العربيّة والصحراء، ص 26.

[5] حمادة تركي زعيتر: جماليات المكان في الشعر العباسي، ص 77.

هدوءا ونقاءا، ويتجسد ذلك في قوله :" كل شئ هادئ صامت " [1]، ويردف "على الرغم من التعب الذي أشعر به لم أنم.. أصغيت أكثر لهدوء الليل وسكونه.. هبّت نسمة من جهة الغرب.. لأوّل مرة أشم رائحة الشذّى والطيب والعبير "[2].

4) قابلية التحول:

على الرغم من اليأس الذي يسيطر على ساكن الصحراء من إمكانية تحويلها وتغييرها لصالحه. إلاّ أن هذا اليأس لا يصل إلى درجة صرفه عن محاولاته في سبيل التغيير وخصوصا بعد لمس إمكانية تحقيق ذلك، فبعض الصحاري يتم تحويلها إلى أرض زراعية[3].

تعتبر الصّحراء أرضا قاحلة وذلك بسبب مناخها القاسي وقلة أمطارها. لهذا كان الناس ينتقلون إلى واحات أخرى كي يحفظوا أسباب حياتهم من الماء والأكل، فالحياة جد قاسية، وعلى الرغم من ذلك فقد استطاعت الهيئات أن تستغل النفط باستخراجه ونقله. وبالتالي حوّلت بعض صحاريها إلى أراضي زراعية منتجة.

يتضح ذلك من خلال قول الكاتب: "كان بإمكاننا أن نستخرج الماء من باطن الأرض ونقوم بحفر الآبار ونعمّر هذه الصّحراء والمعدّات جاهزة وسريعة والحمد للّه"[4].

وبالرغم من أن الصحراء أرض قاسية بمناخها، قاحلة بطبيعتها، فقيرة بإنتاجها الزراعي، إلا أنّها جزء لا يتجزأ من عالمنا الأرضي، بل هي تضّم أجزاء مهمة من هذا العالم، فالصّحراء جزء من تراثنا الطبيعي. وإذا كانت الصّحراء فقيرة في إنتاجها الزراعي والمادي، فإنه ينظر إليها على أنّها غنية بتراثها الثقافي وبإنتاجها الرمزي. فإذا كان

---

[1] الأخضر بن السايح: صحراء الظمأ، ص 20.

[2] المصدر نفسه، ص 104.

[3] صلاح صالح: الرواية العربيّة والصحراء، ص 27.

[4] الأخضر بن السايح: صحراء الظمأ، ص 71.

صحيحا أن الصّحراء أرض قاحلة جرداء، فهي قد كانت دوما أوسع فضاء للتأمل والتفكير، وكانت دوما أفضل موطن للأساطير والأشعار والأديان[1].

ففي الصحراء كان الشاعر ينظم أشعارا وقصائد ا يصف فيها قوة القبيلة وشجاعة رجالها، أو يتغزل بنسائها الجميلات وسحرهن.

وبقى أن نقول، إن للصحراء وجهين ؛ وجه ايجابي والآخر سلبي، حيث اختلفت الروايات في توظيف هذه الدلالات حسب المو اقع والأدوار الروائية، فالصّحراء شاسعة بمساحتها، غنية بثرواتها، نادرة في أمطارها، شحيحة في نباتها، قاسية في مناخها، منجبة لخصال الكرم والرجولة، لها برنامج سردي خاص يحفظ خصوصية الصّحراء فنيا وتاريخيا وحضاريا.

[1] حسن المودن: الرواية والتحليل النّصي (قراءات من منظور التحليل النفسي) ، ص 62.

الفصل الثاني

الفصل الثانـي :

ماهية المكان الصّحراوي ودلالاته

أولا : ماهية المكان

أ – تعريف المكان

ب – أنواعه

جـ – أهميته

ثانيا : دلالات المكان الصّحراوي

أ – الدلالة الاجتماعية للمكان الصّحراوي

ب – الدلالة الحضارية للمكان الصّحراوي

جـ – الدلالة النفسية للمكان الصّحراوي

أولا : ماهـــية المكـان

أ – تعريف المكـــان:

للمكان دور كبير في حياة أي إنسان، ولا ريب في ذلك ، فقد اثبت منذ القديم دوره القوي في تكوين حياة البشر، وتحديد تصرفاتهم، وتثبيت هويتهم، وبالتالي يعد الركن الأساسي الذي يمارس فيه البشر تكوينهم الحياتي. وقد مثّل المكان عنصرا مهمّا بل أساسيا من عناصر العمل الأدبي والذي يسعى بدوره إلى إبراز هويّة ذلك العمل من خلال التصاقه بشخص العمل الفني الذي لا يستطيع الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال .

ومن هنا سنتطرق إلى مفهوم المكان لغة واصطلاحا .

- **المـكان لـــغة:**

لقد وردت كلـــمة المـكان في الرائـــد بمـعنى: 1 – موضـــع، 2 – منزلـــة، 3– « اسم المكان » في الصرف : صيغة تدلُّ على مكان وقوع الفعل نحو (ملعَب).

4 – « ظرف المكان » في النحو : هو اسم مكان فيه معنى « في »، نحو: « كنت عندَه » [1].

وفي المعجم العربي الأساسي: مكانٌ ج أماكِن وأمكنةٌ: 1– مو ضِع « مكان الاجتماع »، « في المكان المناسب »، « وضعه في مكان أمين »، « لا يستقر في مكان »، « مكانه في القاعة »، « أخلى مكانه »، « مكان الحادث »، 2 – منزلة« هو رفيع المكان »، « يحتلّ مكانا مرموقا في الدوّلة »، 3 – [في الصرّف] اسم المكان: صيغة تدلّ على مكان وقوع الفعل[2].

(1) جبران مسعود : الرائد معجم ألفبائي في اللغة والإعلام ، ص 845 .

(2)أحمد العايد وآخرون : المعجم العربي الأساسي (لاروس) ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1989 ص 1061 – 1062 .

ووردت لفظة المكان في المعاجم اللغوية بمعان ودلالات متقاربة فيها إشارات واضحة وصريحة بأن المكان هو الموضع، وهو « مكان الإنسان وغيره ولفلان مكانة عند السلطان أي منزلة ورجل مكين من قوم مكناء »، والجمع أمكنة كقذال وأقذلة وأماكن جمع الجمع .

وعلى ورود هذه اللفظة في المعاجم اللغوية التي أشارت إليها آيات القرآن الكريم وفقا لسياق التعبير القرآني فجاءت بمعنى الموضع أو المستقر [1]، ومنها قوله تعالى :﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ ﴾[2]، وقال تعالى :﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٤١ ﴾[3]. وينحدر الجدر اللغوي للمكان من الموضع والمنزلة .

- **المـــكان اصـــطلاحا:**

يعد المكان العنصر الرئيس المشكل لبنية الفضاء الروائي؛ باعتباره بنية معمارية متجسدة بوساطة اللغة، التي تتفنن في رسم عوالم مكانية متنوعة [4].

والمكان مساحة ذات أبعاد هندسية أو طبوغرافية تحكمها المقاييس والحجوم ويتكون من مواد. ولا تتحدد المادة بخصائصها الفيزيقية فحسب، فمادة العمارة مثلا ليست بهذا المعني وحده، وإنما هي بالإضافة إلى ذلك نظام لعلاقات هندسية مجردة، والمكان كذلك لا يقتصر على كونه أبعادا هندسية وحجوما. ولكنه فضلا عن ذلك نظام من

(1) محمد عبيد السبهاني : المكان في الشعر الأندلسي ، دار غيداء ، ط1 ، 2013 ، ص 17 .

(2) سورة مريم ، [الآية 16] .

(3) سورة ق ، [الآية 41] .

(4) نصيرة زوزو : بناء المكان المفتوح في رواية " طوق الياسمين " لواسيني الأعرج ، مجلة المخبر ، بسكرة ، الجزائر العدد الثامن ، 2012 ، ص 21 .

العلاقات المجردة يستخرج من الأشياء المادية الملموسة بقدر ما يستمد من التجريد الذهني المجرد [1].

كما يجسد المكان الحاضنة الاستيعابية والإطار العام الذي تتحرك فيه الشخصيات وتتفاعل معه، أيَّ نصٍ مهما كان جنسه الأدبي لابد أن يتوافر على هذا العنصر ما دام فعل الحكي هو الأساس الذي ينطلق منه ويعود إليه ويتمظهر من خلاله وبوساطة آلياته وقوانينه [2].

يعرف الباحث السيميائي "لوتمان" المكان بقوله: « هو مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر، أو الحالات، أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة ...) تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة (العادية مثل الاتصال، المسافة...)[3].

أما " غريماس " فقد انطلق في مفهومه للمكان من منطلق الرؤية إذ يرى أنّه – أي الفضاء النصي – حسب اقتراحه موضوع مهيكل يحتوي على عناصر متقاطعة غير مستمرة، لكنها منتشرة عبر امتداده وفق نظام هندسي متميز يسهم في تصوير التحولات والعلاقات المدركة، والمحسوسة بين الذوات الفاعلة داخل الخطاب السردي [4].

والمقصود بالمكان في الرواية هو الفضاء التخييلي الذي يصنعه الروائي من كلمات ويصنعه كإطار تجري فيه الأحداث [5]. فالمكان هو العمود الفقري الذي يربط أجزاء

---

(1) اعتدال عثمان : إضاءة النّص ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1988 ، ص 5 .

(2) محمد صابر عبيد ، سوسن البياتي : جماليات التشكيل الروائي (دراسة في الملحمة الروائية « مدارات الشرق » لنبيل سليمان) ، ص 196 .

(3) محمد بوعزة : تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم ، دار الأمان الرباط ، ط1 ، 2010 ، ص 99.

(4) باديس فوغالي : الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ، عالم الكتب الحديثة ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2008 ص175– 176.

(5) عمر عاشور : البنية السردية عند الطيب صالح (البنية الزَّمانيَّة والمكانيّة في موسم الهجرة إلى الشمال) ، دار هومه ، بوزريعة ، الجزائر ، (د.ط) ، 2010 ، ص 29 .

النص الروائي ببعضها البعض،هو الذي يسم الأشخاص،والأحداث الروائية في العمق [1].

ويرى "باشلار" أن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكان لا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل بكل ما في الخيال من تحيز [2].

في حين يرى " كريقل " أن المكان هو الذي يؤسس المحكي لأن الحدث في حاجة إلى مكان بقدر حاجته إلى فاعل وإلى زمن والمكان هو الذي يضفي على التخيل مظهر الحقيقة [3]. فالمكان يمثل مكونا محوريا في بنية السرد، حيث لا يمكن أن نتخيل عناصر الرواية من أحداث وزمان وشخصيات دون أمكنة تحميهم .

كما يرى " هيوم " أن المكان « مـؤلف من آنات ولحظات ونـقاط منفصـلة » بوصـفه « الطريقة التي ترتب وفقا لها النقاط الملونة المحسوسة الواحدة إلى جانب الأخرى »[4]. فالمكان يتشكل من حدين الأول : متناهي ويدرك بواسطة الحواس، أما الحد الثاني: فهو يشكل امتدادًا للحد الأول ، بوصفه يتميز بالكينونة [5].

إذن فالمكان وحدة أساسية من وحدات العمل الأدبي؛ لأنّه يعد من أهم العناصر الشكلية للرواية .

---

(1) مرشد أحمد : البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ط1 ، 2005 ، ص 128 .

(2) عبد الرحمان منيف : المكان ودلالته في رواية " مدن الملح " ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، عمان ، ط1 2010 ، ص 41 .

(3) جنيت وآخرون : الفضاء الروائي (ترجمة : عبد الرحيم حُزل) ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، (د.ط) ،2002 ص137.

(4) منصور نعمان نجم الدليـمي : المكان في النـص المسرحـي ، دار الكندي ، إربد ، الأردن ، ط1 ، 1999 ص 18 .

(5) المرجع نفسه ، ص 20 .

ويعتبر "هنري متران" المكان هو الذي يؤسس الحكي لأنّه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة [1].

إذن فالمكان ليس عنصرًا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة بل إنه قد يكون ، في بعض الأحيان، هو الهدف من وجود العمل كله [2].

لقد تباين مفهوم المكان من عصر لآخر، ومن فيلسوف لآخر، وكذلك من معجم لآخر، غير أنّ الذي يلفت الانتباه هو أن مفهوم المكان أثار حفيظة الفلاسفة وأغراهم بمحاولة تعريفة وضبطه، لما له من أهمية كبيرة يتوقف عليها وجود الإنسان على هذه الأرض .

- **المكان المفتوح / المغـــلق :**

تتشكل هذه الثنائية من طبيعة المكان الذي لا تحده / أو تحده الحدود والحواجز والقيود التي تشكل عائقا لحرية حركات الإنسان وفعالياته ونشاطاته وانتقاله من مكان إلى آخر من جهة، وتحدد من جهة أخرى طبيعة العلاقة مع الآخرين وانفتاح هذه العلاقات أو انغلاقها على قوانين وضوابط وشروط مسموح بها / غير مسموح بتجاوزها [3]. وفضلا عن كثـير مـن الدراســات التي احتفت بالمكــان الروائـي وأولــته العنايــة والبحث فإن مفهوم المكان في الأدب يحمل عددًا كبيرا من الدلالات، وفي موضوع البحث تصبح « الصحراء » مكانا غامضا ملتبسا [4].

(1) حميد لحميداني : بنية النّص السّردي (من منظور النقد الأدبي) ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط3 2000 ، ص 65 .

(2) حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية) ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ط2 ، 2009 ، ص 33 .

(3) محمد صابر عبيد ، سوسن البياتي : جماليات التشكيل الروائي ، ص 216 – 217 .

(4) ميرال الطحاوي : محرمات قبليّة المقدس وتخيّلاته في المجتمع الرعوي روائيا ، ص 20 .

والمكان الصّحراوي متحرك عبر الحركة اللانهائية لكثبان الرمال والجبال الرملية المتحركة وفق حركة الريح، والمكان الصّحراوي أيضا، ربما كان المكان الأقدر على التدخل في حياة البشر وتغييرها باستمرار في الواقع وفي الرواية [1].

وتحتاج الصحراء كمكان روائي إلى بعض التفسير قد يصلح مقدمة للاستشهاد بالكثير من الكتابات النقدية التي ترى المكان حاضرا « في كل أنماط التعبير الوجداني والذاتي، في الأساطير والملاحم وحكايات التراث وفي الشعر والقصة والرواية، ذلك أن الإنسان زمكاني النزعة لا يستطيع الانعتاق كليا من سطوة الزمان والمكان حتى وهو في أشد حالات التجريد إلحاحا »[2] .

وبالتالي فإن الصحراء مثلا قد تكون مكانا جغرافيا مفتوحا لما تمتاز به من انفتاح على الامتداد الخارجي، ولكن طبيعة الحياة الصعبة فيها وعدم تلاؤم طقسها مع نفسية الإنسان يفسح المجال لانغلاقها المستمر، وهكذا مع بقية الأماكن؛ ذلك أن « سعة المكان وضـــيقه، انغلاقه وانفتاحه، رهينان بالحالة النفسية أو الشعورية لسكان المكان »[3] .

ويبقى لنا أن نقول إن الصّحراء مكان مفتوح وفضاءٌ واسعٌ مترامي الأطراف، يمارس لعبة الضغط والضيق والانفراج النفسي على ساكنيه تبعا لحالتهم النفسية .

(1) صلاح صالح : الرواية العربيَّة والصحراء ، ص 07 .

(2) ميرال الطحاوي : محرمات قبليّة المقدس وتخيّلاته في المجتمع الرعوي روائيا ، ص 20 .

(3) محمد صابر عبيد ، سوسن البياتي : جماليات التشكيل الروائي ، ص 217 .

ب – أنواعـــــه :

مما سبق يمكننا القول إن المكان يشتمل على ثلاثة أنواع هي:

1 – المكان المجازي :

سمى بهذا الاسم لأنه افتراض وليس حقيقيا، وهو بمثابة مكان تجري فيه الأحداث ومكمل لها ، مثل الأشجار التي تعترض البطل وتخفي الهارب، وقد يكون هذا المكان وصف لحالة تمر بها إحدى الشخصيات الروائية مثل الفقر والغنى والتباهي[1].

وهو المكان الذي لا يتمتّع بوجود حقيقّي، بل هو أقرب إلى الافتراض، وهو مجرّدُ فضاء تقع، أو تدور فيه الحوادث، مثل خشبة مسرح يتحرك فوقها الممثلون [2].

وهو أيضا المكان الذي نجده في رواية الأحداث المتتالية، حيث نجد المكان ساحة للأحداث، ومكملا لها، وليس عنصرا مهما في العمل الروائي، إنه سلبي، مستسلم يخضع لأفعال الأشخاص [3].

ومعنى ذلك أنّ المكان المجازي هو مكان خيالي وليس واقعيا تدور في فلكه الأحداث؛ أي أنّه عبارة عن فضاء من صنع الروائي .

2 – المكـــان الهندســي:

يتجسد هذا المكان في الروايات التي يغلب عليها اليأس والعجز والإحباط [4]. ويظهر ذلك من خلال وصف المؤلف للأمكنة التي تجري فيها الحكاية، واستقصاء التفاصيل دون أن يكون لها دور في جدلية عناصر العمل الروائي الأخرى [5]. فالمكان الهندسي يأخذ أبعادًا متعددة تدلل عليه .

(1) صبيحة عودة رعرب ، غسان كنفاني : جماليات السرد في الخطاب الروائي ، ص 96 .

(2) محمد عزّام : فضاء النص الروائي ، دار الحوار اللاذيقية ، سورية ، ط1 ، 1996 ، ص 111 .

(3) إبراهيم خليل : بنية النّص الروائي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2010 ، ص 133 .

(4) صبيحة عودة زعرب ، غسان كنفاني : جماليات السرد في الخطاب الروائي ، ص 96 .

(5) إبراهيم خليل : بنية النّص الروائي ، ص 133 .

3 – المكـان تجـربة معــاشة:

يعد هذا المكان من أكثر الأماكن تأثيرا في حياة الإنسان، ويبقى مخلدا ومحفورا في ذاكرته، فهو الذي يشكل دون أي مكان آخر ذاتيته . يقول (غالب هلسا) إنّه : " مكان عاشه مؤلف الرواية، وبعد أن ابتعد عنه أخذ يعيش فيه بالخيال " [1]، وعليه هو مكان مألوف يمكن إعادة هندسته خياليا ولغويا.

إذن هذه هي أهم أنواع المكان التي تطرق إليها " غالب هلسا " في الرواية العربية وتعد أولى الدراسات التي تناولته، وفرشت له أرضية نقدية.

جـ – أهمـــــــيته:

يُعدُّ المكان أحد المكونات الحكائية التي تشكل بنية النّص الروائي، كونه يمثل العنصر الأساسي الذي يتطلبه الحدث الروائي، والشخصية الروائية في الوقت نفسه ولهذا يلعب دورا مركزيا داخل منظومة الحكي، ومن هذا سنتطرق إلى أهمية المكان.

أهمية المكان لا تقتصر على المستوى البنائي، بل تتجلى أيضا على مستوى الحكاية (المدلول)، وذلك يُخضع الإنسان العلاقات الإنسانية، والنظم لإحداثيات المكان معتمدًا على اللغة لإضفاء الإحداثيات المكانية على المنظومات الذهنية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية، وهذا يعني " أن المكان يساهم في خلق المعنى " فهو بهذه الأهمية يجسد حقيقة أبعد من حقيقته الملموسة [2].

إن تشخيص المكان في الرواية، هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع ، بمعنى يوهم بواقعيتها، إنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور والخشبة في المسرح، وطبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصوَّر وقوعه إلاّ ضمن إطار مكاني معين، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني [3].

---

(1) صبيحة عودة زعرب ، غسان كنفاني : جماليات السرد في الخطاب الروائي ، ص 97 .

(2) مرشد أحمد : البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ن ص 127 – 128 .

(3) حميد لحميدانى : بنية النّص السرَّدي (من منظور النقد الأدبي) ، ص 65 .

والمكان لا يكون ذا جدوى، ما لم ترتبط به الحياة، سواء أكانت هذه الحياة حياة البشر، أم حياة الحيوان. فأي كوكب من الكواكب، وأي مكان لم يكتشف بعد، ولم تخترقه الحياة ليس بمكان، فالمكان هو الموضع الذي تزخر فيه الحياة، لتوفره على العناصر الأساسية للحياة من ماء، وهواء، تراب [1].

ويتحدث "حميد لحميداني" عن أهمية المكان فيقول: « إنَّ تشخيص المكان في الرواية، هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع ، بمعنى يوهم بواقعتها .»[2]

والواقع أن أهمية المكان تكمن في ارتباطه بحياة الإنسان، فبعد أن تتفتَّح مداركه يبدأ بتحديد أبعاده المكانية من خلال حياته العملية، إلى أن ينتهي به المطاف إلى مكانه الأخير (القبر)، كما تكمن أهميته سرديا في قدرة الروائي على تصوير المكان بطريقة تجذب القارئ بواسطة آلية الخيال ولبنة اللغة .

(1) باديس فوغالي : الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ، ص 170 .

(2) حميد لحميداني : بنية النص السردي ، ص 96 .

ثانــيا: دلالات المكــان الصّحـــراوي

لقد تعددت وجهات النظر بالنسبة للمكان والذي أدى إلى تعدد دلالاته ، كيف لا وقد تناولته أكثر من دراسة ، وأكثر من جهة رأي ، ومع ذلك فإنّ تناولنا للمكان في هذا النص " صحراء الظمأ " لا يقتصر على مفهومه بل يتعداه إلى ما يحيل إليه من دلالات ومعاني في النص .

إنّ المكان هو المأوى والملجأ ، وهو مصدر الطمأنينة والراحة ، فالإنسان في توحّد معه ، يعيش في كنفه خارجيا وداخليا ، ويأخذ منه مأخذ الألفة حتى يصير جزءا لا ينفصل عنه ، وهو ما يفسر إقدام الشعوب على الشهادة بفخر واعتزاز في سبيل أوطانها كما يفسر دفاع العصافير عن أعشاشها ، فحتى الحيوانات التي لا تدرك لها قوانين الغابة تعي جيدا قيمة المكان الذي ألفته وألفها [1].

وما يثير الانتباه في رواية " صحراء الظمأ " مكانـيا ، هو ابتداؤها بـ « المكان – الصّحراء » الأمر الذي يؤكدّ بؤرية « المكان – الصحراء » في الرواية ، بوصفه ثيمة أساسية ليعد قوّةً من القوى الفاعلة في النَّصِّ ، ضافية على الرواية السِّمة المكانّية لتعكس الرواية بذلك التحول الذي يجري في الرِّواية الحداثية من حيث اتخاذها المكان قوّةً نصية بعد أن همِّش «المكان» من الاهمال واللاوعي بوظيفته البنائية والإنتاجية للمعنى في الفكر الروائيّ [2].

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة ، لا لأنه أحد عناصرها الفنية ، بل لأنّه فضاء يحتوي أحد عناصرها الفنية ، بل وكل العناصر الروائية ، لذلك صور لنا " لخضر بن السايح " المكان وجسده فصار ينطق من خلال أحداثه ، وهذا ما جعل القارئ قريبا

(1) صفية علية : جماليات تلقي ديوان " اللهب المقدس " لمفدي زكريا ، رسالة ماجستير ، تخصص : أدب جزائري إشراف : علي عالية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2006 ، ص 146 .

(2) ينظر خالد حسين حسين : في نظريّة العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية) ، دار التكوين ، دمشق سورية ، (د.ط) ، 2007 ، ص 401 .

منه؛ لأنّه مفعم بالدلالات الاجتماعية والنفسية، فيا ترى ما هي دلالات المكان الصّحراوي؟

أ – الدلالة الاجتماعية للمكان الصّحراوي:

لقد حظيت دراسة الرواية باهتمام خاص من المنظور الاجتماعي خاصة بعد أعمال المدرسة البنيوية، فالرواية من وجهة نظر " هيجل " تعبر عن شمولية الإنسان الناتجة عن عدم وجود تناقض (تعارض) بين الدولة والمجتمع. فـي حين يرى " لوكاتش " أنّ الرواية هي الشكل الذي يبحث فيه البطل خلال عدد من المواقف الاجتماعية المختلفة عن قيم جديدة تحظى بالقبول من المجتمع [1].

يهتم علم الاجتماع بالأبنية الاجتماعية وعلاقات الأفراد والجماعات كفاعلين يؤثرون ويتأثرون بمحيطهم[2]، حيث تبرز لنا البنية الاجتماعية داخل النص الروائي بصورة أحلى في كون النص يقوم على أساس « القصة » بما تحويه من شخصيات وأحداث وفضاءات وأزمنة تكون لها مرجعية واقعية في أحيان كثيرة. وعلى الرغم من البعد التخيلي المضفى على عالم القصة، فإن نص الرواية يظل تجسيدا لأفعال وعلاقات وقيم اجتماعية وتاريخية محددة. يتم تقديم هذا التجسيد من خلال بناء له استقلاله الذاتي عن هذه البنية الاجتماعية من جهة وصمتها من خلال فعل الكتابة من جهة ثانية[3].

ومن بين المظاهر التي تجسدت في الرواية وبشكل لافت للانتباه " الرقص "، وقد وظفه الكاتب بدلالاته الاجتماعية، فالرقص يعتبر من أقدم الفنون، وهو نوع من أنواع التعبير. بالاضافة إلى أنّه أداة تعبيرية مثالية تعبر عن المكنون الداخلي للإنسان، فحين

(1) محمد علي البدوي : علم اجتماع الأدب (النظرية والمنهج والموضوع) ، دار المعرفة ، الأسكندرية ، (د.ط) 2002 ، ص 109 .

(2) فضيل دليو : قضايا منهجية في العلوم الاجتماعية ، سلسلة المعرفة ، بن عكنون ، الجزائر ، (د.ط) ، 2010 ص 207 .

(3) سعيد يقطين : انفتاح النّص الرّوائي (النص والسياق) ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط3 2006 ص 140 .

عجز اللسان عن التعبير عما يجيش في الصدر، بدأت الأجساد تعبر عما تريده ، كما يعتبر أيضا وسيلة ترفيهية ؛ حيث يكون في الأماكن السياحية على نغمات موسيقية تختلف من حيث الموقع والزمان، ويتجسد ذلك في قول الكاتب : " تعلو زغاريد النسوة وتعلو معها التصفيقات ويبدأ الرقص والطرب .. فالرجال التوارق يؤدون الرقصات الجماعية بسيوفهم وخناجرهم وهم ملثمون .. أمَّا النسوة فيرقصن بالملاءات السوداء .. وهنّ سافرات الوجوه متبّرجات في كثير من الأحيان .. تعجبت لأمرهنّ .. الرجل متحّجب لا تظهر منه إلاّ العيون .. والمرأة عارية الوجه واليدين والفخذين [1]."

ومن الجلي هنا حضور "الرقص" بوصفه فعلا متجاوزا، له علاقة مباشرة بقيم إنسانية تعنى الخلاص و الانعتاق من أوضاع قائمة غير ملائمة دفعت السائق " حيدر عبد السلام " إلى التعبير وعدم القدرة على الاحتمال ؛ بسبب حياة يرى أنّها لا تطاق (الصّحراء)، وبالتالي فالرقص مقترن بالحياة والحلم بشكل عام، وفي اقترانه بهذه المعاني الإيجابية لرؤية ترى في وجود الإنسان القلق والتوتر وعدم التصالح، لذلك نجده يتخذ من الرقص بوابة للحلم عبر شخصية المرأة الراقصة، يقول السارد : " دخل حيدر حلبة الرقص .. ألبسوه جلبابا وجناحين واسعين .. اقترب من تلك المرأة ، رمى أجنحته عليها وحين مسكها من خصرها.. هزّت رأسها المكلّل بخصلات الشعر الطويلة ملوّحة بالاستجابة"[2]. فالرقص مرتبط بصورة المرأة الجسدية وهو بمثابة ترف لأنّه يمثل لغة الجسد، ويردف السارد قائلا: " تتعالى الأصوات تحت أهازيج الأغاني، نساء ورجال وفرسان وإبل وأطفال تملأ ساحة تلك الرمال الذهبية ... فرائحة الحريم والبخور والعطر أثارت نشوة الغريزة [3] "، ومن هنا نلمس أن "الرقص" يقدم المتعة المجانية ويشبع نهم العواطف والشهوات .

(1) الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص 26 – 27 .

(2) المصدر نفسه ، ص 94 .

(3) المصدر نفسه ، ص 25 .

وللرقص دلالات متعددة، تحول الجسد إلى مادة ثقافية لإنتاج صيغ حضارية جديدة تتماشى مع الصيغ الحضارية الأخرى ضمن مفهوم المثاقفة؛ لأنّ النص الأساسي للرقص هو الموسيقى التي تتباين ألوانها وطبوعها تبعا للمناطق الجغرافية .

ختاما يمكن القول إنّ الكاتب قد وفق كثيرا في تقديم إضافة روائية محلية وسمات فنية عالية، وبمهنـية العارف استطاع التحلـيق عالـــيا، فمن حيث المضــمون وظف "الرقص" وتجاوز به المستوى الدلالي من كونه حركات ميكانيكية متزامنة إلى حالة إنسانية لها علاقة بقيم رفيعة .

إذن فدلالته العامة حركية مجردة، تعني حالة الخلاص والتحرر؛ لأنّه ظاهرة تعبيرية في لحظة سعادة غامرة .

كما قدم لنا الكاتب نموذجا للمرأة الجزائرية والأجنبية، وهنا سنتناول هذه الشخصيات والقيم الاجتماعية المرتبطة بها على النحو الآتي:

أ / الـــمرأة الجزائـــرية:

المجتمع ليس كلا متجانسا، فهناك تناقض الطبقات وتناقض الثقافات، وعلى ذلك فإننا نجد أعمالا أدبية تصور الثقافة السائدة في المجتمع، ونجد أعمالا أخرى تهتم بالجانب المهمش والثائر في المجتمع، وقد نجد العمل الأدبي الواحد مركبة ثقافية، لكن هذا العمل ينتصر في النهاية لصالح ثقافة معينة أو أيديولوجية محددة [1].

وقد كان للمرأة دورًا فاعلا في شتى فنون العلم والأدب، كما أنّها تميزت بالصدق في العلم والأمانة في الرواية [2].

إذا حاولنا البحث عن معالم الأنوثة في الرواية الجزائرية، فإننا نجدها قد اكتسحت مساحة جد هامة، حيث أبرزت الرواية الجزائرية عدة صور للمرأة تبعا لمواقعها الحياتية.

(1) صالح مفقودة : المرأة في الرواية الجزائرية ، منشورات جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، ط1 ، 2003 ص 192 – 193 .

(2) فاطمة صلاح الأعجم : صورة المرأة في الموروث الشعبي بين واقعية ألف ليلة وليلة ورومانسية السير الشعبية (سيرة الملك سيف بن ذي يزن أنموذجا) ، دار غيداء ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2010 ، ص 90 .

1 – تامـــــت (الـمرأة التاريقـــــية):

جاءت في كثير من الأحيان للدلالة على وظيفة إيقاظ القدرة الجنسية عند الأسلاف وبالتالي هي محور القاعدة الأساسية التي تنطلق منه المحاور الأخرى، ويصورها لنا الكاتب بقوله: " امرأة وافرة الظلّ طولا وعرضا .. ممتلئة .. سمراء جميلة يظهر أثر السّواك على فمها .. ينبع العطر من جسدها عبقا تروي الجائع والظمآن [1] "، فجسدها يروي ظمأ العطشان في هذه الصحراء القفراء .

ولا شك أن الجسد بوصفه مستودعا لكل القوى الإنسانية كان هو التجسيد الحي للجمال فإن ما نطلق عليه صفات معنوية أو جمالا روحيا أو غير ذلك مما يخيل إلينا أنه غير محسوس، هو في الحقيقة متصل بالحس والجسد، فالجمال صورة، ومعنى يتحقق من خلال الصورة [2].

وقعت " تامت " في شباك السائق " حيدر عبد السلام "، الثور الهائج كما يصفه السارد فهو لا يمل من مطاردة النساء، فالدنيا بالنسبة له امرأة والحياة أيضا امرأة فنجده يركض وراء النساء؛ بسبب قساوة الصحراء عليه، فيتخذن بديلا للرواء والاستقرار.

إن تناول موضوع المرأة بقي ناقصا ما لم يتم التطرق إلى الجوانب الجمالية المتعلقة بالجسد، ذلك أن صورة الجمال الأولى في نظر الرجال هي المرأة في عنفوان الشباب خاصة [3]، ويتبـين ذلك في هذا المقطـع: "شفـتاها كحـبّات تـوت نضجت على مـهل .. خاصرتها كخاصرتي ظبي ممتلئ .. طويلة الرقبة قوية البنية .. تشعر بجاذبية نحوها .. أشبه بحبة الفلفل التي تجمع اللذّة والألم" [4]، فحيدر يراها من وجهة نظر ضيقة ارتبطت بمساحة ونتوءات الجسد .

---

(1) الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص 27 .

(2) حسني عبد الجليل يوسف : عالم المرأة في الشّعر الجاهلي ، دار الثقافة ، القاهرة ، (د.ط) ، 1989 ، ص 18 .

(3) صالح مفقودة : المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 295 .

(4) الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص 27 .

إنّ صورة المرأة " تامت " – هنا – ارتبطت بالرواء الجسدي بالنسبة لحيدر، لتنسيه قساوة الصّحراء، فقد أضفت عليها الطبيعة الصّحراوية العديد من المحاسن، حيث اكتسبت من الصحراء اتساعها وامتدادها ونحاسية بشرتها وعبق رمالها .

2 – عائـــــشة:

إنّ الوضع الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد ذكرًا كان أم انثى ينعكس على أسلوب حياته في المجتمع ويظهر ذلك جليا لدى المرأة، فالمرأة التي يفرض عليها الزمن أن تعيش جارية تعاني من الذل والهوان، يتكون لديها شعورٌ بالنقص بسبب نظرة المجتمع لها وهذا الشعور يجعلها لا تتحرج من أيّ فعل تقوم به خاصة عندما تعرف أن المجتمع ينظر لها نظرة دونية، بخلاف المرأة الحرة التي عاشت في مجتمع يجلها ويحترمها ينعكس ذلك على سلوكها ويجعلها تصل إلى أعلى المراتب في شتى المجالات[1].

تعيش عائشة في أسرة فقيرة، وفي كنف ظروف مزرية، ما اضطرها إلى العمل مع الشيخ المشعوذ، الذي حولها إلى جارية عنده، في حين كانت عائشة فاتنة الجمال يصفها السارد في قوله: " تبدو آلهة جمال هبطت مع نسائم الليل إلى الأرض .. فبدت لي بشرتها كاللّبن الممزوج بشراب الورد .. عندما تنظر إلى عنقها الأبيض الطويل تتخيّله شمعة بيضاء متّقدة "[2]، وهو ما أوقد رمز الجمال في صورة هذه المرأة .

وعليه سنبدأ بالحديث عن الجسد الذي من خلاله تتحدد هوية الإنسان وبه يكون المرء قادرًا على الأخذ والعطاء، وإقامة علاقات اجتماعية، فالجسد هام خلافا للنظرة التصوفية المترهبة التي تتجاهل الناحية الجسمية وتعتبر أن الإنسان الحقيقي روح وعقل فقط، بينما الحقيقة أنه لا قيام للروح بغير البدن، ومن ثمة فحديثنا عن البدن أو الشكل الخارجي عموما يكتسي أهمية كبرى . « إن الجسد يمثل [نقطة مركزية] في العلاقات

(1) فاطمة صلاح الأعجم : صورة المرأة في الموروث الشعبي ، ص 73.

(2) الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص 98.

الإنسانية، تتبني عليها الكثير من النتائج والآثار النفسية والاجتماعية والحضارية »[1]. فالجسد يشكل محورًا أساسيا في العمل الروائي بكل حمولاته النفسية والاجتماعية والثقافية والفلكلورية .

إن جغرافية الجسد تتداخل مع فضاء النص وفضاء المكان إلى درجة التماهي فالمرجعية الثقافية لدلالة الجسد تحتوى تمفصلات المعنى المكتنزة فيه، تثريه بخصوبة المجاز، ومضاعفة الدلالة، كما أن السياق سيحوّله إلى نسيج النص ورؤيته الكلية[2] .

"عائشة" أيضا وقعت في شباك"حيدر"الذي كان يبحث عن مصدر لإشباع شهواته حتى يرتوي من فيض جمالها ويستحم في بحر حسنها الأخاذ "ها هو يمسكها من خاصرتها ويقبّلها .. بل يرتشفها في هيام .. كانت تذوب في يده كما يذوب الجليد المتألق تحت وطأة الشمس"[3].

وفي الرواية الجزائرية، لا يكاد يخلو وصف المرأة وجمالها من وصف للنهود والامتلاء وهو ما يثير شهوة الرجال [4]، ويتضح ذلك من خلال قول السارد : " يغير موضع يديه إلى جهة النهدين .. وقفت جامدة من غير حراك في النقطة التي أثارت المشاعر وهيجت الغرائز" [5]، ويردف قائلا:" صدرها الممتلئ العريض وساقاها الملفوفتان الطويلتان يوحيان بالحبّ والشهوة والجنس" [6].

(1) صالح مفقودة : المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 295 – 296.

(2) الأخضر بن السايح : سرد المرأة وفعل الكتابة (دراسة نقدية في السرد وآليات البناء) ، دار التنوير ، الجزائر (د.ط) ، 2012 ، ص 179.

(3) الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص 96.

(4) صالح مفقودة : المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 302.

(5) الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص 94.

(6) المصدر نفسه ، ص 98.

إذن فالكتاب الجزائريون لا يتحدثون عن النهود إلا في جانبها الجنسي الشهواني وما يتبعه من إقامة علاقة مع المرأة، سواء أكانت هذه العلاقة مبنية على أساس المودة والاتفاق العاطفي والفكري، أو على أساس التمتع بالمرأة واستغلالها الجنسي [1]".

فالمرأة ذلك الكائن العجيب في كل شيء، ساحرة، عذبة، جميلة، حنونة، وهي فاتنة الرجال؛ لأنّها بطبيعتها تثير العواطف، وترمز للحلم الجميل بالحياة الرعيدة، كما ترمز أيضا للنضارة وحيوية الشباب .

وخلاصة القول، إن المرأة أثمن كنز في الحياة، إذ استطاعت المرأة الجزائرية أن تلعب دورًا رئيسا في رسم خارطة الجزائر اجتماعيا وثقافيا وحضاريا، وظلت مصدر إلهام يستمد منه الفنان لحظاته الإبداعية.

ب – المرأة الأجنبـــية:

بالرغم من أن الروائيين الجزائريين لم يخصصوا عملا روائيا منفردا بامرأة، فإن الرواية الجزائرية ، لا تخلو من عنصر الأجنبية، فكيف صورت المرأة الأجنبية، وهل كان حضورها قويا أثناء الحديث عن المرأة ؟ [2]

ســـوزان:

وهي شخصية لا يقرأها أحد إلاّ ويعشقها، رسم الكاتب ملامحها بدقة متناهية مقدما لها لوحة فنية ناطقة بالجمال والسحر، يقول الكاتب:"إنّها آية في الروعة والجمال سبحان من صورّها .. حلوة تملك معنا طيسا خاصا .. شهية إلى حدّ الجنون" [3].

فسوزان صورة للجـــمال ونشوة الانتـصار، وقد وفـر لـها الروائـي عناصـر أساسـية منها: **عنصر اللون** : " بيضاء ناصعة البياض وجنتاها تميلان إلى الحمرة " [4]

(1) صالح مفقودة : المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 303.

(2) المرجع نفسه ، ص 224.

(3) الأخضر بن السايح ، صحراء الظمأ ، ص 42.

(4) المصدر نفسه ، ص 42.

"شعر مهدّل أشـقر يصل إلى خصريها وعـينان خضراوان" [1]، وكذلك **عنصر الرائحة:** " شهية العطر" [2]، أيضا: " هي جنة فيحاء " [3]، **عنصر اللمس:** " فالجسد ناعم طازج مثل حبّ الليمون " [4]، **عنصر الحرارة:** " لها عينان دافئتان " [5]، فهي موضع اشتهاء ورغبة يقول السارد:" شعرت بالنشوة .. هزّتني رائحة العطر .. هاهي سوزان بجـواري زاعـقة تستـفزّ الشهوة"[6]، لذلك قدمـها الكـاتب علـى صورتـها الحقيـقية، فاسم " سوزان " يحمل عدة صور ودلالات مختلفة.

"سوزان" أتت إلى الصحراء في جولة سياحية مع أصدقائها، وهنا تعرفت على السائق " حيدر عبد السلام " في أحد الفنادق، وبدأت حكاية العشق بينهما. حيث يعرف "ابن حزم الأندلسي" العشق بقوله : « إنّ أوله هزل وآخره جد دقت معانيه لجلالتها على أن توصف فلا تدرك حقيقتها إلاّ بالمعاناة، وليس بمنكر في الديانات ولا بمحضر في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عز وجل »[7]. لكن العلاقة بينهما لم تكن علاقـــة عشـق فحسب، بـل مبنية أيضا على الجسد، فالـجسد موضـوع مركـب لأنه " حدثي " و "حداثي "، هو " حدثي " لأنّه مجموعة من الغرائز والرغبات التي تصدر عنها الأفعال وسلوكات وانفعالات تظل مرتبطة بمتابعة منهجية هادفة إلى فهم الصادر الذي هو السلوك وإدراكه وتفسيره والحكم عليه، ومن خلال عملية الفهم والإدراك للصادر نعرف المصدر الذي هو "الجسد". أما كونه " حداثيا " فيسبب تجدده الدائم كموضوع للبحث وثيق الصلة بمواضيع أخرى

(1) الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ، ص 76.
(2) المصدر نفسه ، ص 153.
(3) المصدر نفسه ، ص 76.
(4) المصدر نفسه ، ص 152.
(5) المصدر نفسه ، ص 153
(6) المصدر نفسه ، ص 153.
(7) صالح مفقودة : المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 76.

وخاضع لكل أشكال المقاربة [1]. ويقرب لنا هذا المقطع الصورة: " يبصرها فوق تلك الرمال بقميص النوم الأبيض الشّفاف كدرّة .. كجوهرة في أرض خراب .. يجري إليها مسرعا سورنا .. سوزان .. فيضرب ذلك النسيم الخفيف وينفتح القميص الشفاف الأبيض.. يخيّل إليك فخذيها البيضاوان كشمعتين مضيئتين .." [2].

بدت لنا ملامحها منطوية على الحب والجنس، يشعر المرء بها رغمًا عنه فينجذب نحوها، "فحيدر" كان كالطفل الظامئ إلى رعايتها وحنانها لأنّه عاش حياة قاسية في الصّحراء، أضف إلى ذلك سوزان تحقق لحيدر حياة ممتعة(فالمرأة بالنسبة للرجل مصدر كل متعة)، إنّها لا تعرف شيئا عن جمال الحياة، وجمال الرجولة، وما تعرفه ينحصر في البعد الجنسي، فهي إذا صورة قبيحة للمرأة الزانية. و" الزنى يتحقق بواسطة معرفة حضارية .. ذلك أنه يتحاقب مع انمحَاء كلي للخجل ، وللموانع الخارجية أي أنّه يتلازم مع إقصاء كلي للعالم الخارجي، وتعويضه بعالم آخر يقاوم المتعة، ويجعل التركيز على اللذة كاملا: كالموسيقى والرقص .. مع العمل على إطالة لحظات المتعة وتعنيقها وتصعيدها إلى مستوى العبادة والتصوف، غير أن مجمل هذه المسارات تجهض وتنتهي بالتخلي. ليتبين عن كونها مجرد تعويض مؤقت لخيبة الذات المستمرة على كل الأصعدة خاصة وأنّها تمتد على فترات متقطعة بتقطع فترات الكتابة والعمل والمقاومة[3].

فكأن الحب عند "سوزان" يتجلى في دلالة مادية وحيدة هي النشوة الجنسية، وإذا كان العمل يشكل ضرورة ملحة لكل فرد أو مجتمع، من أجل تحقيق توازن اقتصادي نسبي يجعله قادرًا على تحمل متطلبات الحياة المادية، فإن الجنس يرتبط بضرورة أخرى تتصل بالمتطلبات البيولوجية والعاطفية، وبالرغبة في تحقيق ديمومة الحياة البشرية. وإذا

---

(1) جمال بو طيب : الرواية العربية الحديثة المرجع والدلالة (بحث في انثروبولوجيا الجسد) ، عالم الكتب الحديث إربد ، الأردن ، ط1 ، 2013 ، ص 01.

(2) الأخضر بن السايح ، صحراء الظمأ ، ص 75.

(3)عبد اللطيف محفوظ:البناء والدلالة في الرواية (مقاربة من منظور سيميائية السرد)،الدار العربية للعلوم،بيروت، لبنان،ط1،2010،ص173-174

كان العمل يتنوع، بشكل غير قابل للحصر، في استعماله وغائيته، فإن الجنس هو الآخر يتنوع استعمالا وغاية، تبعا لجدل الوضعيات الذاتية والموضوعية المتحكمة في الفرد و المجتمع [1].

كما يصور لنا المؤلف ليالي العلاقات الجنسية على نحو مباشر، سنكتفي هنا بالتلميح: " حيدر جريء لا يبالي فحل عليم بمواطن الضعف في المرأة .. مسح براحة يده ظاهر عنقها قبّلها في منابع الإحساس ، ومع كل لمسة .. مع كل قبلة أحسّ أن عضلة في جسدها ترتخي .. أطال النظر إلى فخذيها وثدييها ، لثمها بلسانه ، أحسّ بدمها الحار ينبض .. فقال لها بلطف هذه الليلة ليلة الصدق والمأساة "[2].

إذن، فالعلاقة التي تجمع بين "حيدر" و"سوزان" هي علاقة عشق، اتسمت بطغيان الجانب الجسدي، " فالعشق وثيق بالجنس، وهذا الأخير مرتبط بالجسد، والجنس حاجة بيولوجية ملحة في حياة الإنسان يحقق بها ذاته، وعن طريقها تت آلف النفوس. والغريزة الجنسية تتولد عنها كثير من العلاقات والنشاطات الإنسانية، وهي التي ترسم ثقافة الإنسان، يقول " فيليب كامبي ": « كل ثقافة الإنسان في جميع تنوعاته إنما تتصل قليلا أو كثيرا بغريزته الجنسية والعلاقة المتولدة عن هذه الغريزة بين الرجل والمرأة »[3].

جسد "سوزان" كان يفيض بالشهوة وهو جسد غربي، والمقصود بالجسد الغربي " كل جسد ينتمي إلى الغرب سواء أكان هذا الانتماء جغرافيا أو فكريا " [4]. ويتجلى ذلك في الرواية:"ها هما ساقيها البيضاويان تملآن غريزته التهابا .. تثير جوعه الغريزي .. ها هو ينفث عن مكبوت شهوته .. يضع يده على خصرها.. يمرّر شفته ..يعتصرها ويجعلها

(1) عبد اللطيف محفوظ : البناء والدلالة في الرواية (مقاربة من منظور سيميائية السرد) ، ص162.

(2) الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص 42 – 43.

(3) صالح مفقودة : المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 77.

(4) جمال بوطيب : الرواية العربية الحديثة ، المرجع والدلالة (بحث في انثروبولوجيا الجسد) ، ص 81.

رسما هلاميا بلا ملامح ولا تفاصيل " [1]. "حيدر" يلتهمها، فهو يشتهي وجعها وآلامها لأنّها كشمس الصباح التي أشرقت في صحراء الجزائر.

وخلاصة الأمر « أن الجسد واقعة اجتماعية، ومن ثم، فهو واقعة دالة، يدل باعتباره موضوعا، ويدل باعتباره حجاجا إنسانيا، ويدل باعتباره شكلا، إنّه علامة وككل العلامات لا يدرك إلا من خلال استعمالاته، وكل استعمال يحيل على نسق، وكل نسق يحيل على دلالة مثبتة في سجل الذات، وسجل الأشياء »[2]. فالاتصال الجنسي لا يعني المتعة، بل يحمل طابع الانتقام، "فحيدر" يرى نفسه ينتقم من أوروبا بأكملها وذلك من خلال ممارسة الجنس مع سوزان، ويتبين ذلك في المقطع الآتي : "انتقمت من أوروبا بكاملها وأخذت ثأري مضاعفا " [3]، وأيضا " ما سبب احتفاظك بسوزان البريطانية ؟ يجيب حيدر على الفور بصوت مرتفع: ألم تعلم أن بريطانيا هي السبب في بلاء العرب قديما وحديثا وهي السبب في القضية الفلسطينية .. هل عرفت سبب احتفاظي بسوزان البريطانية إنني اقتلها أكثر من مرّة في اليوم ، أنتقم منها وآخذ بثار أبي وأجدادي .. أثأر للأمة العربية، و أثأر لفلسطين "[4].

وهنا "سوزان" بدت شهوانية، فاستغل حيدر هذه الفرصة لينتقم للأمة العربية لكنّه في الأخير وقع في حبّها، ولم يستطع الابتعاد عنها يقول السارد: "حيدر قلق من قرب رحيل سوزان .. يفكر في حاله كيف يفعل وهل يستطيع صبرا " [5]، وهنا انقلب انتصار حيدر إلى هزيمة" ها هو يطلب من سوزان البقاء .. إنّه يبكي بدموع حارّة ويقبّل يديها ورجليها ويستنشق أنفاسها وحمّى صدرها العاصف .. أصبح أسيرا يذوب في كل عضو من

(1) الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص 152.
(2) الأخضر بن السايح : سرد المرأة وفعل الكتابة ، ص 184.
(3) الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص 55.
(4) المصدر نفسه ، ص 58.
(5) المصدر نفسه ، ص 144.

أعضاء جسدها .. الشعر والعين واليد والفم .. إنّه يعبدها " [1]، ويردف " ها هو يبكي ويرتشف الحبّ من شفتيها في قبلات حارّة .. يريد منها أن تأخذه معها حيث تقيم أو تستقرّ هنا معه .. فهو لا يطيق فراقها ولا يقدر على تسيير حياته بدونها " [2]. فوجودها قربه يخفف من ثقل صخور الغربة عليه ، لكنّها رحلت وتركته ، فهي لم تكن تحبّه، بل كانت عاشقة لجسده .

يعتبر"حيدر" بالنسبة "لسوزان"طاغية يسكت لهيبها وظمأها، يطفئ النار التي تحرقها بالإضافة إلى أنّه يشبع رغبتها المتنامية.

إذن هذه هي الصورة الحقيقية التي يحملها هذا الرجل في نظر "سوزان" "صورة الشرق في مرآة الغرب " التي لا تخرج دائما عن دائرة الاستغلال والاستهلاك "[3].

ختاما نقول إن هذه الرواية عبرت من خلال شخصية المرأة عن الواقع الاجتماعي والنفسي؛ فالمرأة هنا بدت ثائرة متمردة ومندفعة وراء رغبتها لا تكبح جماحها قوانين وأعراف.

(1) الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص157.

(2) المصدر نفسه، ص 158.

(3) المصدر نفسه ، ص 156.

ب / الدلالة الحضارية للمكان الصّحراوي:

كلمة الحضارة كما نستخدمها اليوم، ترجع إلى عهد حديث نسبيا . صحيح أن اللغة العربية، واللغات الأوروبية، قد عرفت اللفظ منذ عهد بعيد، ولكن هذا اللفظ لم يتخذ معنى محددا إلاّ بعد أن نشأت الدراسة الخاصة المعروفة باسم " تاريخ الحضارة " فأدت إلى استبعاد كثير من معانيه الأخرى في اللغات الأوروبية بوجه خاص، مثل معنى التثقيف والتهذيب، والزرع والتربية النباتية .. إلخ [1].

ويعد المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي "عبد الرحمن بن خلدون" أول من عالج شؤون الحضارة بصورة منظمة فيما أسماه " بعلم العمران البشري والاجتماع الإنساني". والحضارة عند "ابن خلدون" هي طور طبيعي من أطوار المجتمع البشري، مثلها في ذلك مثل البداوة، ولكن البداوة أقدم، وهي أصل الحضر والحضارة غاية للبداوة .

وإذا كان اجتماع البدو وتعاونهم ضروريا، فإنما يكون بالقدر " الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك [2].

للحضارة، بالمعنى الذي انتهينا إليه، دلالات عديدة: فهي القيم السائدة في المجتمع الذي يشتمل على مجالات فنية وعلمية وأدبية واجتماعية، وتعني أيضا التقدم سواء على مستوى المجال الفكري أو الفني من نشاط الإنسان .

ومن المظاهر الحضارية التي وظفها الكاتب هي : "الفن"، فالفن مظهر من مظاهر الحضارة، ويصورها لنا الكاتب بقوله:"علت الكمنجات الأصوات الموسيقية وكان لتلك الجبال المحيطة صدى يسمع "[3].

---

(1) فؤاد زكريا : الإنسان والحضارة في العصر الصناعي ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ط1، 2010، ص 09.

(2) الربعي بن سلامه : الحضارة العربية الإسلامية بين التأثر والتأثير ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر ، (د.ط) ، 2009 ، ص 07.

(3) الأخضر بن السايح ، صحراء الظمأ ، ص26.

تلعب "الموسيقى"، دورًا أساسيا في العديد من الفنون الأخرى، كما أن فن الرقص أيضا لا يمكن أن يتم إلا بالاستعانة بالموسيقى ويتجلى ذلك في قول السارد: " ضربت الموسيقى الغربية الصاخبة في أرجاء الفندق وبدأ الرقص والطرب والتصفيق ... دخلت تلك الفتيات في بهو الفندق يرقصن "[1]، فالموسيقى تبعث في النفس العديد من المشاعر كما تثير الفرح والسعادة. فبالنسبة للسائق " حيدر " الذي قضى عمره في الصحراء يعاني من شظف العيش وخشونة الحياة والصراع مع الطبيعة، فكانت الموسيقى تمثل له شفاء للنفس، ومحركًا للشعور؛ أي غذاء لروحه.

وبالتالي فالموسيقى تعد من مستلزمات الحياة الاجتماعية، ولا يكاد يخلو منها زمان أو مكان .

كما صور لنا الكاتب "اللباس الصّحراوي" باعتباره مظهرا من المظاهر الحضارية يقول الكاتب: " يلبس لباسا أزرق فضفاضا وسروالا واسعا منتفخا في أوسطه أقرب إلى سروال اللوبيا مثلما يسمّيه سكان الجزائر العاصمة .. ويطلق عليه سكان هذه المنطقة الصّحراوية سروال « عربي » أي عربي الأصل .."[2]، أيضا " هاهم بنو مزاب بملابسهم الفضفاضة وقبّعاتهم البيضاء "[3].

ومن بين الأماكن التي أضفت طابعا حضاريا "المساجد" : " هاهي الأضواء تتلألأ .. تقدمنا قليلا وجدنا المآذن والقباب وقمم الجوامع وأسوارها " [4]. كما يصف لنا "العمارات" في قوله: " فن العمارة مطلّي بالجبس وتتدلّى في زواياه أنواع كثيرة من المصابيح "[5]. وبعدها يأتي ذكر "الخيمة"، التي تعد الوحدة الأساسية للاستقرار في

(1) الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص156.
(2) المصدر نفسه ، ص133.
(3) المصدر نفسه ، ص154.
(4) المصدر نفسه ، ص 50.
(5) المصدر نفسه ، ص 93.

الصحراء، حيث اتخذ الصّحراويون منذ القدم الخيمة مسكنا لهم، ومع الانتقال إلى الحياة في المدينة ظلت الخيمة تراثا ثقافيا عريقا يتحدى بجماله المعمار الحديث ويصعب محوه من الذاكرة، فبعد أن كانت الخيمة رمزا لقساوة العيش والعزلة وسط الصحراء، أصبح لها مفهوم جديد فغدت رمزا حضاريًا وموروثًا ثقافيا يتطلب المحافظة عليه .

ويقال إنّ الخيمة هي " المسكن الأكثر اتّساقا مع واقع الصّحراء " ربّما لأنها تُصنع من مواد متوفّرة غالبا: من شعر الحيوانات المعزولة وجلودها . وهي سهلة التفكيك والتّركيب والنّقل، لا تُتعب صاحبها في التّرحال. وأكثر ما يميّزها أنّها تكيَّف تبعا للمناخ والطّقس يمكن على سبيل المثال، أنّ « تخزّن » الحرارة، في أثناء النهار لليّل البارد . ويمكن لأطرافها أن ترفع « فتصطاد » النّسيم من أيّة جهة جاء [1].

ومن هنا فللخيمة دلالات عديدة تنحصر في الأصالة والتشبث بالأرض، بالاضافة إلى أنّها رمز للكرم، ففيها يتم تكريم الضيف من طعام ومأوى وحماية، ويتجلى ذلك في قول السارد : "هنا خرج رجل بدوي في سنّ الأربعين واستقبلنا مهلّلا مكبرا يا مرحبا يا مرحبا .. كان رجل مضيافا كريما سخيا على ما يبدو .. أدخلنا إلى خيمته .. بسرعة مذهلة لم أشعر بها جاءنا بإبريق شاي [2]".

كما يأتي ذكر "الطعام" باعتباره دلالة حضارية تعبر عن كل موطن، فلكل بلد أكله الخاص به. وأهل الصحراء اشتهروا بإكرام الضيف خاصة عابري السبيل من أكل ومبيت وغير ذلك، ولقد اعتمد الإنسان الصّحراوي البساطة في كل شيء، الأمر الذي يعكس بساطة الصّحراء في حد ذاتها. ولعل قدوم الصّحراويين من الصّحراء واستقرارهم فيها جعلهم يتمسكون ببيئتهم بكل ما تحمله من عادات وتقاليد .

(1) صالح إبراهيم : أزمة الحضارة العربية في أدب عبد الرحمان منيف ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان، ط1 2004 ، ص 302 .

(2) الأخضر بن السايح ، صحراء الظمأ ، ص 116 .

إذن "فالطعام" دلالة على الإكرام يقول الروائي: " هنا نلمس كرم الناس وسخائهم في إكرام الزوّار بالأكل والماء والشرب .. بمجرّد وقوفنا بالسيارة جاء رجل بقصعة طعام تتّسع لعشرة من الناس مزوّدة باللحم والبيض .. نزلنا دفعة واحدة وشكّلنا دائرة حول الصينية الكبيرة .. يتوسّط الصينية إناء عميق مملوء بالمرق واللحم والخضار والبطاطس والفلفل فهاجت بطون الإخوة بشهوة الطعام فامتدّت الأيدي .. فلا تسمع في هذه اللحظة إلاّ طقطقة الملاعق "[1]. ويضيف السارد قائلا: " جاءنا بإبريق شاي وملّة أخرجها من بين الرّماد المتطاير على حافّة الخيمة .. كانت لذيذة لم أنس طعمها وحلاوتها خاصّة مع الصحن الذي وضعه أمامنا فيه قليل من السمن .. أكلنا بنهم ورشفنا الشاي .. ذقنا طعم الرائحة مع هذه الاستراحة القليلة" [2]. "فللشاي" في البلاد العربية مكانة رفيعة، لأنّه عنوان الضيافة والكرم، كما يساعد أيضا في دفع عطش الصحراء ومساعدة الجسم على مقاومة حرها. كما له دلالة حضارية تعكس جوّ الالتفاف حوله والسمر على بساطها الرملي وزمنها الليلي .

(1) الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص 91 .

(2) المصدر نفسه ، ص 116 .

جـ / الدلالة النفسية للمكان الصّحراوي:

يعرّف علم اللّغة النّفسي بأنّه: علم يدرس العلاقات بين النفس الإنسانية والظواهر اللغوية، والتي هي الدراسات التي تربط بين الظواهر اللغوية والظواهر النفسية [1]. في حين تعرفه " إيفلين ماركوسين " بأنّه دراسة اللغة الإنسانية وفهمها وإنتاجها واكتسابها[2].

تعد مسألة معرفة شخصية الروائي على ضوء آثاره الإبداعية من أهم الأهداف التي يتوخاها التحليل النفسي للعمل الروائي بحكم كونه محاولة رصد للجذور النفسية التي استمد منها الروائي مادته الإبداعية التي صبغت على نحو بعينه دون غيره من الأنحاء على الرغم من المعوقات المنهجية، والمعرفية، والإجراءات التي تسبغ شيئا من النسبية على النتائج المتعلقة بمدى العلاقات بين شخصية الروائي ومضامينه الروائية [3].

إن قراءتنا للرواية من المنـظور النفسي، تنتـهي بنا إلى إدراك ما تخفيه شخصية " مصطفى " من مشاعر وأحاسيس وعواطف متوترة، تعكس عمق الأزمة الإنسانية النفسية التي يعاني منها " مصطفى " الرجل الكريم، الذي قدر عليه أن يعيش في زمن غريب لا يشعر معه بالاطمئنان .

لقد قدم الكاتب شخصية " مصطفى " اجتماعيا على أنّه ذلك الرجل الذي تعرض للحرمان بسبب ظروف عمله التي أجبرته على أن يشتغل مفتشا عامًا للسياحة في أقصى الجنوب، فأصبح يعاني من توتر نفسي وعاطفي .

---

(1) صالح بلعيد : علم اللّغة النّفسي ، دار هومه ، بوزريعة ، الجزائر ، (د.ط) ، 2008 ، ص 9 .

(2) جلال شمس الدين : علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الأسكندرية ، ج1 (د.ط) ، 2003 ، ص 9 .

(3) محمد مسباعي : التّحليل النّفسي للرّواية (نجيب محفوظ نموذجا) ، دار هومة ، بوزريعة ، الجزائر ،(د.ط) 2009 ، ص 78 .

هذه الشخصية تعاني من اضطراب نفسي، بسبب حالات الشك التي تراودها فابتعاد " مصطفى " عن زوجته " سارة " وعن بلده كان المؤثر الأول على نفسيته، حيث بدأت شكوكه تحوم حول زوجته المرأة الشريفة التي كانت على الرغم من كونها وحيدة إلاّ أنّها صانت عرضها وشرفها، لكنّه بمجرد أن اتصل بها على الهاتف ولم ترد عليه. بدأ يتساءل في قراراة نفسه أين ذهبت في غيابي، وبدأ فتيل الشك يلعب دوره: " هل استغلّت غيابي لتمارس فعلتها الشنيعة مع الفاجر " سالم " إنّه زير نساء لا يمل من الطّراد كالثور الهائج، يضع يده على رأسه لا .. لا .. إن بعض الظنّ إثم، يتمتم أعوذ بالله من الوسواس الخناس.. زوجتي تذهب إلى بيت والدها في الريف، لا تستطيع البقاء وحدها كل هذه المدة "[1].

لقد قدمّ لنا الكاتب شخصية " مصطفى " وهي في عمق أزمتها النفسية والعاطفية . ويرى التحليل النفسي أنّ علاقة الروائي بشخصيته الروائية تماثل " علاقة المحلل النفسي بمريضه – كما أشار إلى ذلك الطبيب النفسي " جان دولاي " على الإطلاع على طوايا نفسه، بحيث تكون العلاقة النفسية الخيالية القائمة بينهما بمثابة علاقة المريض النفسي بمحلله " الذي يبثه نوازع ذاتية، وخوالجها في بوح اعترافي حميمي [2].

بمعنى أن العلاقة التي تجمع الروائي بشخصياته يجب أن تقوم على التماسك فالروائي بمثابة محلل نفسي لها .

إذًا "مصطفى" في عالم نفسي يرتبط باللحظة، ولم يستطع التخلص منه، ففي تلك اللحظة أراد أن يصل إلى بيته في لمح البصر لكنّه يقيم في الغرب الجزائري "معسكر"، فبدا كطائر مكسور الجناح، لأنّه يرى في مخيلته وعالمه النفسي زوجته مع ذلك الملعون، يقول مصطفى في خياله: " فعلها السافل الفاجر إنّه أحمق لا يعرف إلاّ

(1) الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص 6 .

(2) محمد مسباعي : التّحليل النّفسي للروّاية (نجيب محفوظ نموذجا) ، ص 81 .

نزواته لا يملّ ولا يفتر حتى ينال مراده من المرأة التي يريدها .. لا يفرق بين امرأة وأخرى حتى ولو كانت متزوجة [1]" .

يسكت " مصطفى " برهة ثم يتذكر زوجته وهي في أحضان ذلك السافـل فيقول: "بعد أن شعرت بحرّ الشمس وقد نزعت ثيابها واكتفت بقطعة خفيفة تلبس وتنزع على عجل، تصوّرها وهي تطلّ من الشرفة تتلمس نسمة أو هواء .. شعرها الأشقر الطويل نهداها المنتفخان ككرة عاج بطنها المنبسط الليّن .. فشعر بسالم يدخل رفقتها يمسكها.. يصرخ مصطفى لا .. لا ، سأقتله شرّ قتله .. سأقتلها معه أيضا "[2].

هكذا يبدو عالم " مصطفى " النفسي كئيبا وما يزيد من كآبته حضور تيمات الخيانة في ذهنه ومن أعز الناس إليه " زوجته "، لكن كل هذا كان مجرد شكوك . فهل بالفعل زوجته على علاقة مع سالم ؟ وهل هي تطعنه في شرفه ؟

وهكذا يبدو واضحا أن الكاتب قد تعمد التركيز على نفسية " مصطفى "، حيث ذهب علماء التحليل النفسي إلى اعتبار الشخصيات الروائية، إما أنّها الناطق الرسمي باسم مبدعها يتبناها تماما، باعتبارها قناعه الفني أو أنّها مجرد شخصية مستقلة عن مبدعها متحررة أحيانا منه ".[3]

وللإجابة عن التساؤلات التي تحوم حول " مصطفى " لابد من التطرق أولا إلى موضوع الخيانة .

مما لا شك فيه أن الخيانة الزوجية جريمة كبيرة لا مبرر لها، فهي انحراف عن القيمة السليمة ، فعلى اعتبار أن المرأة كائن ضعيف تجري وراء عواطفها، فهي معرضة إلى أن تقع في هذه الجريمة، وهي خلفية غير ثابتة دائما .

---

(1) الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص 7 .

(2) المصدر نفسه ، ص 7.

(3) محمد مسياعي : التّحليل النّفسي للروّاية (نجيب محفوظ نموذجا) ، ص 82 .

اختلطت الأمور على "مصطفى " ولم يعد يطيق نفسه، فهو في حالة هستيرية ومظهره يوحي بالجنون، لا يفرق بين الصواب والخطأ، كل هذا بسبب زوجته التي تعمل مرشدة وخبيرة في السياحة.

"سارة" امرأة عفيفة وطاهرة ، فكل هذا مجرد هواجس رسمها زوجها، الذي كان يقول ويردد: (إنّ بعض الظنّ إثم)، الغرض من تكرار هذه العبارة هو محاولة إطفاء صوت الشيطان في دواخله وأنّ كل هذا مجرد وسّاوس، فحسن الظنّ ورطة لا حل لها.

" سارة " في نظر زوجها خائنة في عرضه وشرفه، يقول " مصطفى ": " إنّها الآن تخونني في عرضي وشرفي، من أدراني أنها بين أحضانه .. من يمنعها سيأكلها يعصرها، سيجعلها عجينة في يده، سيترك بذرته في أحشائها وستقابلني حينذاك مهللة مكبّرة مستبشرة بمولود جديد .. يا إلهي ما أحمقني .. أنا الأبله المغفّل الذي لا ينظر إلى عواقب الأمور .. يا إلهي، قتلت نفسي بثقتي العمياء، لم أتحذّر ولم أفكرّ في عواقب الأمور .. لكن ، لا .. لا .. سأقتلها .. لن أتركها تنعم بخيانتها " [1]. لكن في الحقيقة كل هذا كان مجرد شكوك وهواجس ، فعندما وصل " مصطفى " إلى بيته " فتح الباب بهدوء واندفع كالوحش الهمجي .. وقف في بهو المنزل مندهشا حين وجد سارة منهمكة في قراءة القرآن الكريم .. هاله ما رأى .. فسقط على ركبتيه مذعورًا وهو يقول: " كم قلت لنفسي إنّ بعض الظنّ إثم..إنّ بعض الظنّ إثم "[2].

وبناء على ما تقدم، نجد أن شخصية " مصطفى " قد عكست أبعاد الشّخصية النفسية، حيث استطاع المؤلف أن يقدمها لنا على دفعات، فكانت تنمو من خلال التفاعل مع الأحداث وغيرها من أركان الرواية الأخرى .

(1) الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، ص 71 .

(2) المصدر نفسه ، ص 175 .

وهي علاوة على ذلك، شخصية تنزع إلى التحوّل والتغيير، لا تستقر على حال وقد ظلت هذه – الشخصية – على امتداد أحداث الرواية، تكشف لنا عن مكنوناتها النفسية؛ فهي شخصية عميقة، وبهذا نجد أن المتلقي ينجذب إليها بكل أحاسيسه ومشاعره.

وفي النهاية لابد من التأكيد على أنّ الإنسان يحمل في داخله نوازع الخير والشر معا. ولابد من تزكية النفس وضبطها والابتعاد عن الشبهات في الفعل والقول .

وبقي لنا أن نقول، إنّ المكان فضاء الكاتب لا يمكن الاستغناء عنه؛ لأنّه الحياة كلها، فالصّحراء على رحابتها أرضية تختصر الجمال والبهاء في الليل والنهار وبالتالي لا يمكن الاستغناء عنها، هكذا صورها لنا الكاتب جاعلا منها امرأة تبتسم وتتحرك وتشع جمالا ورونقا، فالمكان هو امرأة موشحة بكل الصفات الجميلة .

خاتمة

في نهاية المطاف، وبعد دراستنا لرواية " صحراء الظمأ " توصلنا إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- الصّحراء مكان يرمز للغربة والضياع؛ أي ضياع الإنسان عن وطنه بابتلاع الصّحراء له.

- تشتمل الصّحراء على مختلف أنواع وأشكال الحياة ، فرغم طبيعتها القاسية ومناخها الصعب وحتى اتساع مساحتها، إلّا أنّها تزخر بطبيعة تأسر الفؤاد وتخطف الأنظار وتأسر الزوار.

- إنّ الحياة في الصّحراء شاقة متعبة تحتاج إلى جد واجتهاد وعطاء ومثابرة وصراع من أجل البقاء، ومع ذلك تبقى مكانا مقصودًا من قبل العديد من الزوار والسياح من شتى أصقاع الأرض.

- للصحراء كائنات مميزة، تكيفت معها لتتحمل الجفاف والحرارة نهارًا أو البرودة ليلاً بالاضافة إلى كثرة العواصفها.

- تعتبر المدن الصّحراوية قبلة للسواح، وهذا لتوفرها على معالم طبيعية وحضارية فالصّحراء تبعث في النفس السكينة والهدوء والتأمل .

- وظف الكاتب المكان بشكل مميز تجلت جمالياته عبر دلالات عدة، مما أعطى لتقنيات السّرد تماسكا وحضورًا .

- صور لنا الكاتب حضورًا مكثفا للمرأة؛ لأنّها تشكل قيمة اجتماعية ونفسية في حياة الإنسان العربي، وهي تنطوي على قدرة غير محدودة على العطاء والتفاني .

- المرأة عنصر بارز من عناصر الخطاب الروائي، ولشخصية المرأة حضور مميز في هذا العمل الروائي، حيث استطاع الكاتب أن يعطي أبعادها الجمالية والاجتماعية . اشتهر أهل الصّحراء بالجود والكرم؛ لذلك يقال أنهم أجود الناس.

- يعطي المكان انطباعا عن الفضاء الفكري الذي تدور في فلكه الأحداث والشخصيات فقد يكون أداة للتعبير عن موقف الأبطال ورؤيتهم للحياة .

- تعتبر الرواية ثراء كبيرا لعنصر المكان؛ لأنّه دلالة الوجود الإنساني في الصّحراء .

- نجد أن " الأخضر بن السايح " يتخذ من الصحراء رمزا ودلالة سياسية واجتماعية للمكان العربي، على اعتبار أنّها تعكس عمقه الاستراتيجي والحضاري والإبداعي .

والله ولي التوفيق

الملحق

السيرة الذاتـــية للكـــاتـــب:

الإسم واللقب: الأخضر بن السايح

الرتبة: أستاذ محاضرات (ب)

أستاذ الأدب المعاصر / تحليل الخطاب

بقسم اللغة العربـــية وآدابـــــها

جامـعة عمار ثليـجي الأغـــواط

المعلومات الشخصـــية:

تاريخ ومكان الازدياد: 1962/04/24 الأغــواط.

التأهيل العلمي والتصنيف:

المؤهل أو التصنيف	الجهة المؤهلة	التاريخ
بكالوريا	ثانوية الإمام الغزالي الأغواط	1982
ليسانس تخصص لغة عربية	جامعة وهران	1986
شهادة الكفاءة الأستاذية	مديرية التربية غرداية	1988
ماجستير تخصص / أدب حديث ومعاصر	جامعة وهران	2001
دكتوراه تخصص / أدب حديث ومعاصر	جامعة الجزائر	2009

البحوث الأكاديمـــــية:

المؤهل	عنوان الرسالة	التخصص
ماجستير	الفضاء القسنطيني عند أحلام مستغانمي مقاربة تحليلية لرواية ذاكرة الجسد	أدب معاصر
دكتوراه	آليات البناء في الرواية النسائية المغاربية / مقارنة تحليلية	أدب حديث ومعاصر

المسار البيداغـــوجي والتاريخ الوظـــيفي :

التعليم الثانوي 1985 – أستاذ التعليم الثانوي في ثانويات:

-ثانوية مصطفى لطفي / وهران 1985/10/19 .

-ثانوية الحياة /وهران / .

-ثانوية الحاج علال بن بيتور / متليلي / غرداية .

-ثانوية القرارة الجديدة / ولاية غرداية .

-ثانوية الإمام الغزالي / الأغواط .

-ثانوية العقيد شعباني / الأغواط / إلى سنة ... 2001 .

التعليم الجامعي : 2001/03/12 – أستاذ التعلـيم الجـامعي بقسم اللغة العربية وآدابها (جامعة عمار ثليجي الأغواط إلى يومنا هذا) .

الوظـــائف البيداغوجـــية:

-أستاذ مساعد من 2001 إلى 2002 .

-أستاذ مساعد مكلف بالدروس من 2002 إلى 2009 .

-أستاذ محاضر صنف (ب) : 2009/03/12 .

مهام بيداغوجية أخرى:

- عضو مخبر اللغة العربية من 2002 إلى يومنا هذا .
- عضو اللجنة العلمية من 2004 إلى غاية 2008 .

المـــهام الإداريـــة:

- مدير دراسات بقسم اللغة العربية وآدابها من: 2004 إلى غاية 2009 .
- رئيس شعبة الأدب العربي / نظام LMD من: 2010 إلى يومنا هذا .

المهام البيداغوجية ومقاييس التدريس

المحاضـــرات	التطبـــيقات	التـــدرج
الأدب المعاصـر	أدب معاصـر	ليسانـــس
تيارات فكريـــة	تحليل الخطاب	ليسانـــس
نثر قديـــــم		ليسانـــس
شعر حديث ومعاصر	شعر معاصر	ليسانـــس

ملّخــص الروايـــــة:

لقد كان عنوان الرواية " صحراء الظمأ " حاضرا في معظم أجزاء النص فالرواية بأكملها تمثل عالم الصّحراء.

تصور لنا الرواية رحلة في الصّحراء مليئة بالمغامرات الشيقة، فالصّحراء تتميز بشساعتها وحرارتها، إذ تشتهر بأجمل غروب شمس وتتميز بجبالها الفريدة والبديعة في تركيبها ، وتعتبر هذه الجبال مقصدا مهمًّا للسياح، فمن يزور الصّحراء لا بد أن لا يفوت عليه فرصة التمتع بمناظرها الخلابة .

ومن جهة أخرى صورت لنا قساوة الصّحراء من خلال ما تعرضت له الشخصيات من معاناة السفر الشاقة، بالإضافة إلى حرارة المناخ التي رافقتهم طيلة هذه الرحلة. وتعد مفاصل هذا البحث محطات مهمة في تلخيص الرواية من حيث أحداثها وشخصياتها وإطارها الزمكاني .

المصادر و المراجع

*** القرآن الكريم برواية ورش عن نافع**

أولا : قائمـــــــــة المصـادر

01 – الأخضر بن السايح : صحراء الظمأ ، دار التنوير ، الجزائر ، ط1 ، 2013 .

ثانيا : قائمة المراجع العربية

02 – إبراهيم خليل : بنيّة النصّ الروائي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ط2 ، 2010.

03 – أحمد موسى : الصحراء في الشعر الجاهلي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ط1 ، 2009.

04 – الأخضر بن السايح : سرد المرأة وفعل الكتابة (دراسة نقدية في السرد وآليات البناء) ، دار التنوير ، الجزائر ،(د.ط) ، 2012.

05 – اعتدال عثمان : إضاءة النصّ ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1988 .

06 – باديس فوغالي : الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ، عالم الكتب الحديثة ، عمان الأردن ، ط1 ، 2008 .

07 – جان عبد الله توما : أدب الرحلة والرَّحَّالون العرب ، المؤسسة الحديثة للكتاب لبنان ، ط1 ، 2014 .

08 – جلال شمس الدين : علم اللّغة النّفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، ج1 ، (د.ط) ، 2003 .

09 – جمال بوطيب : الرواية العربية الحديثة المرجع والدلالة (بحث في انثروبولوجيا الجسد) ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط1 ، 2013 .

10 – حسن المودن : الرواية والتحليل النّصي (قراءات من منظور التحليل النفسي) دار الأمان الرباط ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2009 .

11 – حسني عبد الجليل يوسف : عالم المرأة في الشعر الجاهلي ، دار الثقافة ، القاهرة (د.ط) ، 1989 .

12 – حمادة تركي زعيتر : جماليات المكان في الشعر العباسي ، دار الرضوان ، عمان الأردن ، ط1 ، 2013 .

13 – حميد لحميداني : بنية النّص السّردي (من منظور النقد الأدبي) ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2009 .

14 – خالد حسين حسين : فـي نظريّـة العنـوان (مغامـرة تأويلـية في شـؤون العتبة النصية) ، دار التكوين ، دمشق ، سورية ، (د.ط) ، 2007 .

15 – سعد العيد الله الصويان : الصحراء العربية ، ثقافتها وشعرها عبر العصور قراءة انثروبولوجية ، الشبكة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2010 .

16 – سميرة أتساعد : الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري (دراسة في النشأة والتطور والبنية) ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، (د.ط) ، 2009 .

17 – شعيب حليفي : الرحلة في الأدب العربي (التحسن ، آليات الكتابة ، خطاب المتخيّل) ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2006 .

18 – صالح إبراهيم : أزمة الحضارة العربية في أدب عبد الرحمان منيف ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004 .

19 – صالح بلعيد : علم اللّغة النّفسي ، دار هومه ، بوزريعة ، الجزائر ، (د.ط) 2008 .

20 – صالح مفقودة ، المرأة في الرواية الجزائرية ، منشورات جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر ، ط1 ، 2003 .

21 – صلاح صالح : الرواية العربيّة والصحراء ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق سورية ، ط1 ، 1996 .

22-عبد الرحمان منيف : المكان ودلالته في رواية "مدن الملح" ، عالم الكتب الحديث الأردن ، عمان ، ط1 ، 2002 .

23-عبد اللطيف محفوظ : البناء والدلالة في الرواية (مقارنة من منظور سيميائية السرد الدار، العربية للعلوم ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2010.

24 – عطيات أبو العينين ، صلاح معاطي : البدو وأمراء الصحراء ، مؤسسة الوراق عمان ، الأردن ، ط1 ، 2014 .

25 – عمر عاشور : البنية السردية عند الطيب صالح (البنية الزّمانيّة والمكانيّة في موسم الهجرة إلى الشمال) ، دار هومه ، بوزريعة ، الجزائر ، (د.ط) ، 2010 .

26 – غسان كنفاني ، صبيحة عودة زعرب : جماليات السرد في الخطاب الروائي ، دار مجدلاوي ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2006 .

27 – فاطمة صلاح الأعجم : صورة المرأة في الموروث الشعبي بين واقعية ألف ليلة وليلة ورومانسية السير الشعبية (سيرة الملك سيف بن ذي يزن أنموذجا) ، دار غيداء عمان ، الأردن ، ط1 ، 2010 .

28 – فضيل دليو : انفتاح النّص الروّائي (النّص والسياق) ، المركز الثقافي العربي بيروت ، لبنان ، ط3 ، 2006 .

29 – فؤاد زكريا : الإنسان والحضارة العربية الإسلامية بين التأثر والتأثير ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، (د.ط) ، 2009 .

30 – فؤاد قنديل : أدب الرحلة في التراث ، الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ط2 . 2002

31 – محمد بوعزة : تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم ، دار الأمان الرباط ، ط1 . 2008

32 – محمد صابر عبيد ، سوسن البياتي : جماليات التشكيل الروائي (دراسة في الملحمة الروائية) ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط1 ، 2012 .

33 – محمد على البدوى : علم اجتماع الأدب (النظرية والمنهج والموضوع) ، دار المعرفة ، الأسكندرية ، (د.ط) ، 2002 .

34 – محمد عبيد السبهاني : المكان في الشعر الأندلسي ، دار غيداء ، ط1 ، 2013 .

35 – محمد عزّام : فضاء النص الروائي ، دار الحوار ، اللاذيقية ، سورية ، ط1 . 1996

36 – محمد مسباعي : التّحليل النّفسي للروّاية (نجيب محفوظ نموذجا) ، دار هومه بوزريعة ، الجزائر ، (د.ط) ، 2009 .

37 – مرشد أحمد : البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005 .

38 – منصور نعمان نجم الدليمي : المكان في النص المسرحي ، دار الكندي ، إربد الأردن ، ط1 ، 1999 .

39 – ميرال الطحاوي : محرّمات قبلية (المقدس وتخّيلاته في المجتمع الرعوي روائيا) المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2008 .

40 – ياسين النصير : الرواية والمكان « دراسة المكان الروائي » ، دار رنينوي دمشق، سورية ، ط2 ، 2010 .

41 – يمني العيد : تقنيات السرد الروائي (في ضوء المنهج البنيوي) ، دار الفرابي بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1990 .

ثالثا : المراجـــع المترجمـــة

42 – جنيت وآخرون : الفضاء الروائي ، ترجمة : عبد الرحيم حُزل ، إفريقيا الشرق بيروت ، لبنان ، (د.ط) ، 2002 .

رابعا : المعاجـم والقوامـــيس

43 – إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية ، اسطنبول تركيا ، ج1 ، (د.ط) ، (د.ت) .

44 – أحمد العايد وآخرون : المعجم العربي الأساسي (لاروس) ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1989.

45 – جبران مسعود : الرائد معجم ألفبائي في اللغة والإعلام ، دار العلم للملايين بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 .

46 – الإمام مجد الدين محمد بن إبراهيم الفيروزا بادي الشيرازي الشافعي : القاموس المحيط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج4 ، ط1 ، 1999 .

47 – مرتضى الزُّبيدي : تاج العروس ، دراسة وتحقيق: علي بشرى ، مج7 ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1994 .

48– ابن منظور : لسان العرب ، مج1 ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، (د.ط) (د.ت) .

خامسا : المـــــجلات والدوريـــات

49 – الطيب لسلوس : مداخلات المنجز السردي للسعيد بوطاجين ، الملتقى الوطني الثالث للكتابة السردية تحت شعار " السرد والصحراء " دار الثقافة لولاية أدرار ، 2014 .

50 – نصيرة زوزو : بناء المكان المفتوح في رواية " طوق الياسمين " لواسيني الأعرج مجلة المخبر ، بسكرة ، الجزائر ، العدد الثامن ، 2012 .

سادسا : الرســـــائل الجامعـــــية :

51 – صفية علية : جماليات تلقي ديوان " اللهب المقدس " لمفدي زكريا ، رسالة ماجستير ، تخصص : أدب جزائري ، إشراف : علي عالية ، جـامعة محمد خيضر بسكرة ، 2006 .

سابعا : المواقــع الإلكترونـــــية :

52 – www.iraqi . datepalms .net

53 – sahaary . blogspot . com/2014/10/desert wikipediahtml

فهرس الموضوعات

العنوان الصفحة

مقدمة:.....أ-ج

مدخل نظري : الصّحراء بين الماهية والممارسة الإبداعية 6-19

أولا : مفهوم الصّحراء.....6-8

أ – لغـــة: 6

ب – اصطلاحا.....7

ثانيا : خصائص الصّحراء.....9-16

أ – خصائص سكان الصّحراء.....9-13

01 – تعريف البدو لغة واصطلاحا 9

02 – عادات البدو وتقاليدهم.....10

ب – الخصائص النباتية للصّحراء.....13

ج – الخصائص الحيوانية للصّحراء.....13

ثالثا : حضور الصّحراء في الرواية العربيّة 16-18

الفصل الأول : صورة الصّحراء في الرواية 21-49

أولا : مميزات الصحراء.....21-27

أ – المدن الصحراوية.....21

ب – الشمس الصحراوية.....25

ج – الرمال.....25

د – السراب.....26

ثانيا : الرحلة في الصّحراء 28-32

ثالثا : أهم مكونات عالم الصحراء 33-41

أ – عالم الإنسان 33

ب – عالم النبات 39

ج – عالم الحيوان 40

رابعا : الدلالات العامة للصّحراء 42-49

الفصل الثاني : ماهية المكان الصّحراوي ودلالاته 52-81

أولا : ماهية المكان 52-60

أ – تعريف المكان 52

ب – أنواعه 58

ج – أهميته 59

ثانيا : دلالات المكان الصّحراوي 61-82

أ – الدلالة الاجتماعية للمكان الصّحراوي 62

ب – الدلالة الحضارية للمكان الصّحراوي 74

ج– الدلالة النفسية للمكان الصّحراوي 78

خاتمة:..... 84

الملحق:..... 87

قائمة المصادر والمراجع 92

فـــهرس الموضوعات..... 99

ملخص :

استطاع "الأخضر بن السايح" من خلال روايته "صحراء الظمأ" الكشف عن الدلالات السلبية والايجابية للصّحراء، التي بذرت في القارئ رغبة التوغل والرحلة في عالم الرواية الصّحراوي، واستكشاف خباياها فهي تعد أرض الجفاف والحرمان، لأنّها مجال واسع وممتد من الرمال والسراب والقيظ، وهذا ما زحف بصفاته على سكانها الذين يتحلون بالصبر والشجاعة والشهامة والكرم، كما يضيء هذا البحث زاوية توظيف الصّحراء واكتشاف خصوصياتها ومميزاتها إبداعيا؛ ويبقى العربي في عمقه الاستراتيجي ابن بيئته. فالصّحراء لها مكانة اقتصادية وحضارية وإبداعية.

Résumé :

El akhdar BEN ESSAIH a pu à travers son roman “SAHRAA EDHAMAA”(le désert de la soif) la divulgation sur les significations négatives et positives du désert, qui a planté au lecteur l’envie d’incursion et de promenade dans l’univers saharien du roman, et de découvrir ses secrets. Le désert a constitué la terre de sécheresse et de la confiscation ; parce qu’il est un domaine très vaste et prolongé des sables, mirage, et de la chaleur extrême, et c’est ça qu’il a marché avec ses attributs sur ses habitants lesquels ont la patience, le courage, la noblesse, et vignoble, en plus, cet exposé allumera l’angle de placer le désert, et découvrir ses confidentialités et ses traits créativement. L’arabe reste dans l’impeccabilité de stratégique, le fils de son environnement, et le désert a une position économique, culturelle, et créative.